

دَوَاوِينُ
مِنْ
زَمَنِ النَّسِيَانِ

مدونة الشوق والذكرى

الأعمال الشعرية الكاملة
الجزء الأول

صديقي شعباني



دواوين من زمن النسيان

الأعمال الشعرية الكاملة

الجزء الأول

صدقي شعباني

الجمع والإخراج

التجهيزات الفنية بدار ماستر للنشر

رقم الإيداع/ ٩٢٣٦/ ٢٠٢١ م

ISBN: 978-977-85768-8-7

13,5×19.5 CM

جميع حقوق الطبع محفوظة للناشر



© ماستر

م ٢٠٢١

Email: master.publisher@hotmail.com
Facebook: facebook.com/Master.PH
Smashwords: smashwords.com/master.ph
Tel & Whatsapp/ 0128 730 3637

حصار المدائن المعلّقة

* الإهداء *

إلى قادم

قد يأتي

فيطأ بسنابك خيله

بوابة قلبي!!

الإمضاء: ص. شعباني

* تصدير *

أعطني بيتا
ومفتاحا لهذا البيت
ساعدني قليلا كي أغامر أن أنام

صدقي شعباني

.١.

يفتح الباب خلفي،
يطالعني قبر حزني
وأسماء من شفقوني..
وتلك التي حيها /
زورقان يضيغان:
بين الشواطئ.
مملكة الليل،
بين النجوم.

.٢.

تطالعني كوة الصمت،
باب يشيع موتاه:
من أحرقوه...

.٣.

ويفتح باب،
وباب،
وبعض الذين يتيهون،
من قفله يرحلون..
وبعض الذي أنت منه:
نوافذ لليل،
هففة النخل،
ذاك النشيد؛
وصفصافة تجمع الليل/
بين الهديل...

.٤.

إلى أين؟
أنت المسافر وحدك؛
من أين؟
لومزقوا البحر نصفين،
سموك من ألف عام.
نبيًا عليهم،
ومأتم.

تسافر وحدك؛
أنت المسافر.
لوقسموك؛
وأعطوك للبحر،
لوضيعوك؛
فأنت المسافر،
من ألف عام،
وأنت امتداد الشوارع،
شوق المدينة للتية؛
أنت المدينة، والصمت..
يحتج،
يعوي،
ويلعق في جفلة الليل..
كلّ الحنين.
فلوضيعوك،
وأعطوك من موتهم،
رحلة القبر،
صمت الحزاني،
ووشوشة السمع في القلب:
سافر..
توشح خرابك فيهم؛

ومن خوفهم .خوفك المستحيل،
على الماء،
صوّب جهاتك للبوصله.

.٦.

يفتح الباب..
هذي التّوافذ؛
والحرف يحبو،
تضيّق المسافات/
والذّكريات..
رأيت الشّوارع مثل العصفير،
والشّمع يرتدّ/
يمتدّ؛
يثقب صدرالخراب،
ويشلق قلبي/
على رايتين.

وأنت المسافر،
من ألف ذكرى،
على صهوة الصّمت،
بين المراتيح واللّيل،

في غفوة الحزن/
والذكريات.
توشح خرابك وحدك؛
هذي الصّحارى مضاجع للتوت/
والياسمين..
وقلبك من حبة الرّمْل:
خمروشال..
ستمتمدّ فيك الرّحال،
تضيق المسافات فيك،
وبوح الرّمال.
وهذي الصّحارى،
المتاريس .
من ينقعون مواويلهم،
يشربون السّراب/
على نخلة الرّوح..
هذي الصّحارى:
عذارى المعابد .
من ألف عام؛
فهل أنت من يزعمون:
الشّتات..
الرّفات..
رحيل الموائئ/
والأغنيات..!؟

توحد مع نطفة الليل؛

أنت الجنين

وأنت الوليد..

تفتش بين المراضع،

عمّن يعيرك اسما

ولونا

وشكلا..

توحد مع نطفة الليل بكرا،

ستعرفك الأمّهات..

توحد.

ستعرفك الأوجه المستعارة،

ملح المدينة،

من ترجموك لكل اللغات،

وأعطوك. من اسمهم.

رقم شارع..!

.٧.

علت فوق حزني.. قباب المدينة

والأنبياء؛

تريثت بين الخطى

والعيون/

التي جرحتني طويلاً،

فهل تسمعين؟

لبابل وجه حزين /

وزورق..

وبابل .

إن شرّدتني اللّغات بعيداً،

سقتني على نخيها .

طلقة الحرف،

ترنيمة المبعدين..

على صدرها سوف أجتو،

على وجهها سوف أغفو؛

سأرسم في رقعة الحلم .

بين المرايا .

هنا، كانت الأرض تينا،

وطعم الشّوارع في اللّيل /

كان لذيذا..

سأرسم كلّ الخرائط للتّائمين،

لمن، في عيون الحقائق،

في راحة الشّوق،

يخفون جسر المدينة..

هل تسمعين؟

انتظرتك..

بين الخطي
والعيون/
التي جرحتني كثيرا.
عددت المناديل..
ياقاتهم في الموائ؛
بابل..
لم تنتظرنني طويلا!
فهل جئت قلبي،
وغمست بين البكا..
راحتيك؟!
عددت الذين يموتون في البسمة الحائره،
والشفاه تلوح للراحلين،
تقول الكلام بدون كلام.
عددتك... أنت:
على رعدة القلب،
في صمتهم،
والشوارع..
بابل لم تنتظرنني طويلا!
وهذا الجواز:
سجل وفاتي،
هو الدمة الباقية...!!

.٨.

من تراه يجليّك في الكأس حتى تموت؟
ومن غير هذا الذي أنت منه
سيكتب شاهدة القبر /

من دمعتين وتوت؟!

فهل سوف ترضى..؟!

وأنت المسافر في جوقة الليل،
مثل الحنين،

ومثل انتظاري..!

فهل سوف ترضى..؟

لك الشّارع المستطيل،
لك الحزن،

والحزن أجمل /

من بابك المستحيل.

فهل سوف ترضى،

كما كنت دوما،

بعصفورة شاردته؟!

ونشيد المحبّين تحت الجسور،

وبين الكنائس؟!

هميات.. هميات..

ذا البحر أشياؤك الباقيه،

حرفك الطَّلَق
تفاحة شيعتها المراثي؛
وذي رقصة الموت تعبر رأسك،
تضحك،
تسقيك كأساً أخيره.

.٩.

جميل هو الحزن قبل الرِّحيل.
جميل هو الحزن .
جنّية ساحره؛
والخرائط للحزن أرجوحة قاتله..!
قالت: «الماء لا لون له،
والحقائب . مثلك /
تنسى.»
تقلّبت .. قلت:
«فمن أين تفضّني الذّاكره؟!»

قالت: «الماء كالزّنبقه،
ريشة تأكل الرِّيح حتّى تموت،
وأنت . كهذي المحيطات .
تحيا بلا ذاكره!»

... يهرب الماء من جلده،
يتعتق بالماء عشاقه،
يرشفون حروف الرسالة للأهل/
والأصدقاء،
يموتون في وتر الشوق،
بين المغني وبين القيثارة؛
وفي لحظة يسرحون..
يعيدون قطعة الحرف،
يخفون بين الحروف الهدايا؛
وحين..

الوجوه يضاجعها الدّفء،
وشوشة الماء،
وجه القمر..
يزحف الدّمع خلفي،
أراهم يحيكون من دمّهم طيبهم،
يرحلون...!!

. ١٠٠ .

لبابل...
ما عدت أذكر أنّ لبابل ما بين وجهي وبيني،
وما عدت أذكر من جنّة الله إلّا «البويب»،

وكرخ الرّصافة ينثر شعر الصّبايا/

على سبحة التّيه/

بين المرايا...

غدا يعبر المنشدون على شدوهم،

يستفيق الخليفة في مرفأ الحبّ،

يأمر بالتّاج فوق النّعال،

يعيد انحناء العقال؛

غريب ضياع الخليفة بين الوجوه،

كثيف هو الحزن يخرج من قسّمات الحروف،

ومن غيمتين يتهمان في حمرة التّاج

إذ يعبر المنشدون...

الخليفة يذكر،

لا. ليس يذكر...

يغرق في الماء صورته،

في النّشيد رأى/

لم ير/

كم رأت فيه عصفورة ضيّعتها السّفوح/

قبا ب المدينة!

كم خبّأته السّفينة كي تفرح الطّلقاء!

وكم...؟!/

ليس يدري الخليفة/

أنّ الخليفة. من ألف عام.

تردّده الأغنيات،

ومن ألف عام يقولون: «يحيا»،
وهم حاضرون؛
ومن ألف عام يقولون: «يمسي فتيا»،
وهم شائخون؛
ومن ألف وجه يصير نبيا،
وهم تائهون.
سلام على جنّة الله،
تحيا الحروف وتحيا.
سلام على الملكوت،
سنملكنا،
كم ملكنا!
وما قد ملكنا،
ألا قد هلكنا...!
غريب ضياع الخليفة بين المرافئ،
حين يكونون في إثره سائرين،
وحين يقيمون من حلّ في جنّة الله/
سيفا ومصحف.
يضجّ الكلام على شفّتيه،
تضيع الصّفات؛
فلا جنّة الله:
ادخل،
وبادر إلى عتبات القصيدة،
لا الكلمات،

ولا من يموتون في إثره،
يجمعون الشّتات.
سلام على جنّة الله،
تحيا الحروف وتحيا.
سلام على الملكوت،
سنملكنا،
ما ملكنا!
وما قد ملكنا،
ألا قد سئمنا...!
وحيد ضياع الخليفة بين الصّفات...!!!

. ١١ .

صباح الشّوارع...
يا من تريق الشّوارع في قبة الكأس/
تسكر.
صباح الرّياحين تسرق من دمعة الفجر عنبر؛
صباح المدينة في تمك الشّارد المستقل.
سنمضي على بردة النّيل من ألف شارع
ومن ألف مركب.
سننسى الّذين يموتون في دمعا،
من، على خدنا، علّقونا تمائم.

سننسى الحمام/
أنشودة الأبرياء.
صباح المساء...
يحاول أن يحرق القلب في أمسيات الدّعاء...
سننسى بأننا نسينا،
وأعطينا. في صباح. مفاتيح سور المدينة
إذ لوّحت بالمناديل تلك العصافير،
زقزقن،
ألفينا بينهنّ على جمرة في الرّصيف،
تراخت حروف الكلام على اللّحظات،
تهاوت/

وصار الكلام أيادي،
ومملكة اللّيل مرسى:
مساء الوداع/
بلا كلمات...

سلام علينا... سلام!
سلام على دفترى في الحقيبه،
على همسة اللّيل في راحتي رساله،
على غيمتين،
على خيمتين،
على هينة الماء يجري كما الصّمت يجري،
ومن خانه اللّيل مثلي،
ومن خانه الحلم مثلك في غفوات الشّوارع،

حين يغني المغني:
فيغرق في الكأس حتى الشماله...!
وداعا، سيملانا البحر بحرا...
وداعا...
سيرسمنا الشوق ضقه،
وداعا لكل وداع بلا كلمات...!

. ١٢.

إليك المناديل نهرا من الدمع؛
بلل مناديلي المستعارة،
بلل خطاي بعينيك .
حاذر...
فهذي المياه بسبعين بابا علي،
وسبعين بابا إليك!
إليك المناديل خذها لخدّيك وردا،
وخذني إذا هربتك المنارات بيني/
وبيني...!
سأعطيك بابل تتراح فوق الضفاف
وتصنع من جبة الماء زورق...
وأعطيك قلبي مهاجر خلف الربيع،
سأعطيك ما أستطيع/

وما تستطيع:

سأعطيك بابل ريحانة،

نورسا في الربيع يبوح بلون حروفي،

ويسرق من مقلتي الرسائل...!

أعطيك. لو أستطيع. الكلام على رسله في الكلام.

ولكن، تضيع المسافات في تمهنا،

في الحقيبة ننسى بأننا نسينا...

فأفرش ظلين/

أفتح بؤابة القلب/

أعطيك قلبي وساده.

سأنسى بأنّي أراك على جبة الموت تلقي السلام،

وأنتك للممتني كالفراشه،

وأني تتبعت وجهي لثلاً أراك/

وحتى أراك...

فما عدت أذكر أنني رأيتك.

بابل...

يا ليل بابل،

هات لبابل موال بابل!

هات الخليفة من رحلة المبعدين

ليختار قلبا سواك،

ليختار سمرته،

والسواد لمن بايعوه...

لبابل...

ما عدت أذكر أنّ لبابل حلاجها .

والوجوه تضيع السّواد .

السّواد لمن بايعوه على بردة اللّيل لون السّواد .

السّواد لتنّورة الحرف .

من حلّ في جنّة الله .

بين السيّوف وبين المصاحف...!

بابل...!

كم مرّة كتبوك على صفحة في الدفاتر؟!

كم مرّة سلبوك ،

وكم مرّة جرّبوك على التّاج /

فوق النّعال؟

أمازلت . بابل . يقطينة علّقها العيون تمام؟

أمازلت زيتونة في هديل الحمام ،

نوّارة:

ترقدين بجفن الفرات؟

قباب المدينة:

ترحف خلفي كي أستفيق /

ولا أستفيق...؟!

سيعلو السّواد على جنّة الله ،

يركو الخليج وراء الخليج .

ومن جاء يمضي ،

لِيمْضِي وَيَمْضِي بِلا ساريه...
جَنَّةُ اللَّهِ:
دالية الطَّلّاءِ
وموت الشَّرّاعِ على العاصفه!!

. ١٣ .

يوصد الباب؛
والسّاعة المستديرة في ركوة الوقت:
تعلن موت اللّقاء...
ينام المغنّي على سمرة الماء/
ينسى...
رأى الباب يحمل موتاه،
من شيّعوه:
وطقطقة الماء ساعه.
«نبثّ إليكم أحبّاءنا هذه النّشرة المستفيضة،
ونرجو السّلامة للراحلين،
لمن يفتحون البلاد،
لمن كان فهمم صديقا...
لكلّ البكاء.
أحبّاءنا، ليست المشكله:
أن تعدّوا الموائئ في دمعكم،

أن تفيقوا على زقزقات المدينة في كلّ شارع،
وتنسون بابل كي تذكروها،
وأنتم تموتون بين الحديث/
وخلف السّجائر...
أحبّاءنا، انتظرونا/
على موجة الواحده...
سنذيع الهدايا على عتبات المرافق.
نرجو السّلامة للتّيهِ حتّى تعودوا،
ونرجو إذا علّقتمكم جسور البلاد البعيدة،
أن تذكرونا كما تذكرون الخريطة،
نرجو السّلامة/
في الواحده...»

يصمت الصّوت/
يهرب من ظلّه في حدودي،
وتمسي الإذاعة للغرباء،
على دبكة الرقص/
في صلوات الجنازه.
ومن وقّعوا صكّك المستحيل،
رموك على رقعة الرّوح كي تستريح؛
فهل تستريح، أيا سنّداباد المدينة؟
هل تستريح؟!
أخاف عليك العيون وعيني،

أَحْمَلَهُمْ مَا تَبَقَىٰ وَمَا سَوْفَ يَبْقَىٰ /
من الرّحلة القادمه...!
بابل الآن تعرف كم قسّموك على حرفهم:
تينة.

تعرف الآن كم قسّموها على الموت في كلّ عام:
وكيف رموك على وجهها،
ألقموها التّراب؛
لأنّ النّخيل يحنّ،
فيعطي البكارة للأنبياء،
ويهدي الحروف الدّماء...!

«سيعلو النّشيد مع الرّابعه،
من صباح الحديث عن العاصفه؛
انتظرونا...
ليافا الرّزّاق /
المضيق...
لحيفا العيون الّتي تستفيق على صرخة الجرح،
حيفا العزاء؛
فكونوا علينا إذا دقّت الرّابعه...»

يصمت الصّوت،
يهرب من ظلّه في حدودي...
سمعت المغنّي يغنّي:

«سنرجع يوماً إلى حينا،
للعذارى اللواتي بقين على حينا؛
للدّموع التي شرّدتنا طويلاً نقول:
سلام على حزننا،
سوف نهرب من بحرنا،
فاذكرونا:
عسانا نعود إذا دقت العاصفه...!!»

. ١٤ .

بيننا، نزرع البحر في أمسيات الشتاء الرّتيبة،
خلف الخرائط نجفل من دندنات القصيدة،
نشرب قهوتنا، نستريح؛ ونكتب سطرين للغائبين،
وبين انسكاب الدّخان،
نصوّر بستاننا والخميلة؛
قرأنا الدّموع على نشرة الثّانية...
مجنّ الصّوت؛ كان حزيناً، بكينا كثيراً، سحبنا الدّخان
بعنف، ونمنا.../

على جنّة باكيه.

بيننا البحر بحر، وفي كلّ بحر رسوم جديده؛
شربنا الحروف، سكرنا... مسحنا الدّموع نبينا؛
رسمنا الخرائط في دفتر القلب، سرنا... وسرنا؛

رأينا الأحبة في كأسنا .ساعة من نهار،
رأينا الشوارع تقفز في إثرنا، نجمتين،
وعينا رماها الخمار.
رأينا الصبايا يطرزن من شعرهنّ الورود،
يحادثننا بينهنّ...
يغنينّ للماء، يبكين حيننا، ويرسمن في قبة الليل/
خطّ النهار...!
متى الفارس المستحيل يللمم أحزانه،
يشرب البحر من ضبقتيه،
يعيد المدينة للميتين على سلّة في الجدار؟!
متى الخيل تنسى .
كما نحن ننسى . بأنّ الصّحارى تبيع الصّحارى/
لكلّ الغزاة...
وأنا على رملها نلبس الخوف في كلّ عام،
ونحيا...
لأنّنا سنحيا، وفي خوفها سائرون.

رأينا الصبايا يوشوشن في همسهنّ،
سكرنا...
وعبّ الهواء دموع السجائر حين ندمنا؛
هنا، شيّد الفارس المستحيل خدود الصبايا،
وأعطى الصبايا بياض الخيول/
وثوب الرّفاف...!!

عليّ؛ تربّعت بين المسافات فيّ،
تقمّصت دور المهرج... جست البلاطات،
هرّبت وجهي، فعاد ارتدادي إليّ؛
وهرّبت ظلّي... غدا الظلّ فيّ،
وحاولت أهرب... صار انقضاضي عليّ.
... تقمّصت دوري! رثاني ارتباكي؛
ووجهي الذي سألوه عن السامريّ،
ويوسف في البئر بعد الخطيئة...
وجهي يراني، فيضحك بين القناع؛
يراني فيهرب منّي إليّ...
أنا لست هذا الذي تخرجون من الغترات،
ولست الذي تفرشون عليه النكات،
لتنسوا الرّصافة،
إذ تنكحون الفرات لدجلة؛
إذ تغمدون العمائم في الخاصره.
بابل الآن تعرف كم مرّة يستبدّ الفرات،
وكم مرّة يضعف الماء .
حين تصير الممالك فيه ودائع للعابرين،
وسيفا يطلّ على حفلة الجائعين.
أنا لست هذا الذي تعرفون،

ووجهي سكبت الوجوه عليه،
لبست الوجوه جميعا، وصرت شتاء على جبّة الموت؛
صرت الإمام...!

أنا... من هناك،
صبيّ، تيّمت قبل الأوان؛ رأيت المدينة تنضو السّواد،
السّيوف تنام، وتفّاحة الفجر تنأى؛ سمعت الخليفة يهجو
الحروف، ويبكي... أنا... من هناك؛ تربّيت في كلّ حاره...
تبعثرت في كلّ خندق...

سلام علينا... سلام!
سلام على دفترتي في الحقيبه،
سلام على همسة اللّيل في راحتي رساله،
على غيمتين،
على خيمتين،
ووجهي يفرّ من الأوجه المستعاره.

أنا... من هنا؛
من هناك، ومن كلّ صوت على منذنه.
من عبور الشّوارع خلف الشّوارع،
من غرفة ضيقه...!

هزّني الليل بين اللّفائف،
قرّبت قلبي إلى كوّة الصّمت،
غرغرت حرفي بتلك الحروف التي لم أكنها؛
كتبت على مدخل الباب:
«من يعتليه؟»

سميك الحروف ككلّ اللّغات،
غريب يشاطره الحزن ذاتي،
فمن يعتليني عليه؟
ويرسمني العندليب على خاطره؟!«
هالة اللّيل بين الماويل تنأى،
مسوح «العتابا»... تمدّدت، الآن، في؛
سرت رعشة في ابتعادي،
رمتني المدينة خلف المدينة،
ضيّعت بابي...!!

مسوح «العتابا»،
ماويلي المنتقاة بدفء ذرتها النّوافذ؛
من يعتريني؟ ومن يصطفيني،
أنا المستبدّ كحلم بلا ذاكره؟!
... هزّني الليل،
كنت أميرا على خيمة الغرباء،
رأيت المآذن تحصي عليّ ارتبائي،

وصنّارة الوقت في أوجه لم أردّها .
وأشهد أنّي أريد الوجوه التي لم أردّها .

. ١٧ .

في خريف المخاض ، عبور الأصائل في ظلّنا ، غفوة الأغنيات
على ربوة؛ في هروب الفنادق منّا... وفي كلّ شيء يقيدّه الحزن
من معصميه ، فينسى البكاء ، ويحترف الانتظار... غرقنا...
انكفأنا على بعض عمر نسيناه بين المواويل ، خلف المرافئ...

بغداد ،

حيفا ،

ويافا :

امتلاًنا بلون المدائن ؛ طعم التّسايح تخرج من كلّ شارع...
وصوت حزين تعلّقه الأمّهات علينا...

ترى يستفيق الفرات كما كان في كلّ عام؟

ترانا إذا ما نسينا...

يذكرنا الماء لون الوجوه/

يبلّلنا الفجرين التّحايا/

ترى الماء يرسم في الكأس كلّ الرّوايا ،

وبعض الدّعاء...؟

ترى كم بعدنا؟

وهل للنّوافذ غير الوجوه الّتي لم نردها؟
ونكذب حين نقول بأننا نسينا الوجوه/
الّتي لم نردها؛

الوجوه الّتي لا نريد...

نريد؛

نريد الوجوه الّتي لا نريد!؟

ترى كم قطعنا من الموت في كلّ ساعه؟

وكم قسّمتنا المدائن في التّيه؟

كم ضيّعنا الإذاعه؟

كم في «العتابا» تقلّصت مثل الدّبابه؟!؟

أنا... من هنا؛

من هناك، تعلّمت كيف أفايضهم جثّي،

كيف أمشي على قلقي،

كيف أحترف الظلّ من بين كلّ الظلال،

وأستمرئ اللّيل من دون اسم؛

وأعتنق الخوف من دون إثم،

ومن دون وجه بحجم اليباب.

أنا... من مخاض المدينة،

من حبة التّمر،

من صرخة الحرف في الرّحم/

المشرئب لعرس النّخيل...!!

أنا... إن نسيت اللّواتي تفيأن ظلّي،

وكم عدّدتني الخطى في النّفايات،

كم بلّلتني العيون التي شرّدتني،
وكم شوّهتني الجريدة...
سأهجو النوافذ في تمهها/
أعتلمها:
ولو، في حبال الغسيل، المدينة تغزو القبيلة...
أثأرللخيل في قبّعات الأصيل،
أجرّب قتل الحروف التي لا أريد
وأعشق في نجمتين ظلال القبيلة/
أعطي الظلال لظلي،
ووجهي لبوّابة اللّيل .
أعطي البقايا،
وبحر البياض لتلك الوجوه الشّظايا؛
سأقصي المرايا،
لترتاح فيك الظلال على صهوة الماء...
في صهوات الرّحيل...!!

. ١٨ .

إلى أين؟
من أين تدخل بهو القصيدة؟
من أين تبدأ سطر المديح؟
فتحتجّ في بركة الصّمت صنّارة الحرف/

كلّ المراثي...!

غريبان في حضرة الجرح نحن،
قصيّان بين الوجوه/
التي لم تلدنا،
التي لم تعتق بشال البياض سواد الجزيرة...
بعيدان بين اللغات،
ولندن تشرب نخب المريدين في كلّ حانه،
وتسكر مثل الفت(ا)يات ضيّعن عشاقهنّ.
سأحرق قلبي ببعض النّبذ،
فغنّ...
وإن شئت كفكف عقالك وارقص،
فلندن لن تستفيق،
ولن تستريح.
سأسكب كأسّي عليك،
أقول الحروف التي لم أجدّها،
وأهرب مثل النعام؛
فغنّ...
وإن شئت فاسرق لشوقك بعض الصّبايا،
وسافر إلى فندق يحتويك،
لتحترف اللّغة الأجنبيّة؛
كي تؤمن. الآن. أنّ الذين يبيحون اسمك/
دون هويّته...!!

سأحرق قلبي ببعض النَّبِيدِ،
سأسكب في حلبة الرَّقْصِ عين المعري،
أقوِّض سطر المديح،
أراهم عرايا...!!
ولندن... صفصافة التَّلْجِ،
تَّلْج على ساعديّ؛
ولندن في الكأس باب يخاطب جسر الرّصافة؛
لندن اسم جديد
وبحر جليد
وخطّ يلوّن وجه السّراب على الخارطة.

في المقاهي التي تسكن الليل،
في يدها رسمتي،
ولمّا انتهينا من الصّمت قالت:
.قرأت المعري...
سقت خوفها من رحيقي، وقالت:
.وزرت «الحسين»...
رأيت الممالك في كلّ مصر؛
رأيتك تعطي الفرات شبابيك بغداد/
شعر الجزيرة...
هل تذكر البيت في مغزل لا ينام؟
وطعم الصّباح؟
وتذكر جمّيزة خبّأتك على ظلّها؟

تذكر النهركيف يعيد السنونو،
ويغري اليمام!!

غريبان في حضرة الجرح نحن،
حبيبان بين الوجوه/
التي ترجمتنا جليدا؛
نزيلان بين انطفاء المقاهي/
وفي شرفة لا تنام.
فغنّ...
وإن شئت فاشرب،
وإن شئت فابك،
وإن شئت فارحل عليّ.
ولندن... صفصافة الثلج،
ثلج على ساعديّ؛
ولندن في الكأس باب يخاطب جسر الرصافة؛
لندن بيت حديد،
ولندن في القلب حزن/
سأبدأ فيه القصيد...!!

. ١٩ .

. إلى أين؟

قلت: السّفينة تعرف سرّ الرّصيف،

. لماذا؟

رأت خلف عيني رؤوس السّنابل /

باب المدينة...

قالت: أراك حزينا،

فهل أنت تبكي؟!

سحبت الدّخان،

قرأت النّشيد على ساعة حائطيه؛

وقلت: المدائن مثل الحصى؛

إنّي لست أبكي...

ولو كنت أبكي لما سلّمتني الحقائب /

تفّاحة بابلية...

ولو كنت أبكي ملأت الفنّادق فيّ رتاجا،

أنا لست أبكي...

ولست عطيلًا يبّري في الحبّ منديله... يستريح؛

أنا... من هناك،

ووجهي الشّهادة.

قالت: قرأت المعري،

وهل زرت، في الصَّيف، بيروت...؟
كيف رأيت المقطَّم في أمسيات بلا كلمات؟
نسيت القصائد. سيِّدتي،
لم أعد أشتهيها كعين المعري؛
وبيروت كانت خصيًّا كباب الحجابه...
نسيت...

نسيت...

فما عدت أذكر غير الرِّصيف،
وكيف أحيي الغزاة،
فأجثو على ركبتَي...
أصير ذبابه.

لثمت من الكأس حزنا جديدا،
أدرت الحنين برأسي سنابل قمح،
تمثَّلت أمي على عتبة القبر...

قلت: فهل تعرفين؟

سألت المعري: تنبأت فيهم،
رأيت السيوف تحارب تحت المصاحف،
أحببت أن تنزع الجبة المشتهاة/
على زرقة الدّم...

في رقصات الخليفه؟!

وماذا أجب المعري؟

تلا آيتين...

وصلَّى على راية الرّوم، قل؟!

.لم يمت...
قال لي،
لا يموت النبيون مثل الملوك،
وإن شردتهم خيام الجزيرة،
مثل القطا يبعثون؛
.ولا... لم يمت؛
جنّة الله نحن...
فإن قاتلونا قتلنا،
وإن حاصرونا اعتنقنا النّخيل / المتاريس؛
صار النّخيل رصاص...!!!

.٢٠٠

غريبان...
نبتاع ظلّاً بشارع؛
غريبان تمتدّ فينا القرون مزارع...
ونحن .كما نحن .ألفيّة للضّياح
وركن قصيّ لقلبي /
يهدهد عبّارة الرّوح...
آه من غرفة /
غربة تستلذّ السّقوط على غيمة في المدامع!؟
ولندن... أنت؛

تحَيِّينَ لَنَدَنَ فِي كُلِّ لَنَدَنَ،
كَم «لَنَدَنَا» هَرَبَتِكَ جَلِيدَا عَلَي سَاعِدَيِّ؟
وَكَم لُغَةً تَرَجَمَتَكَ مَوَاوِيلَ/
تَعَشَّقُ حَزْنَ «الْعَتَابَا»/
وَتَرْحَلُ فِي قَبَعَاتِ الْمَسَاءِ...؟!!

... يَقُولُ الْمَغْتَيِّ، إِذَا لَمْ يَجِدْ مِنْ يَغْتَيِّ:
. حَبِيبَاتِي الْبَيْضَ ضَيَّعْتَهُنَّ،
وَمَا عَدْتُ أَعْرَفَ فَمِهِنَّ وَجْهِي،
وَمَا عَدْتُ أَذْكَرَكُمْ لَيْلَةَ سَافَرْتُ/
فِي ثِيَابِ النَّهَارِ...

يَقُولُ الْمَغْتَيِّ،
وَمَهْرَبُ فِي ظِلِّي حَتَّى يَرَانِي:
. مَتَى جِئْتَ لَنَدَنَ؟
. مِنْ أَيِّ حَزْنٍ أَتَيْتَ...؟!
فَقَلْتُ:

. بَعِيدٌ... أَنَا،
مَسْتَقِيلٌ مِنَ الذَّاكِرِهِ...
. هَلْ رَأَيْتَ الْمَدَائِنَ فِي سَنَةِ/
أَمْ سَنِينَ...!!
. أَنَا... مِنْ هُنَا،

مِنْ هُنَاكَ،
«قَدَامُوسُ» عَارُ. كَمَا أَنْتَ عَارُ!

«قداموس» سافر،
ولم يبق غير الشّراع على العاصفه!
... يغلق الباب خلفي،
يطالعني قبر حزني
وأسماء من شنقوني...
وتلك التي حبّها زورقان يضيعان:
بين الشّواطئ،
مملكة اللّيل.
بين النّجوم.

سألت المغّيّ على نهر لندن:
واللّيل يغسل نافذة البرلمان:
. أحسن كأنّ الحقائق تغتالي،
والنّدى . سمرتي...
والبلاد بعيدة.
أحسن الكلام جراحا/
على شفة في قروح القصيدة...
. لماذا الذين يحبّون يسلون عنك،
وخلفي البلاد بعيدة؟
فغنّ إذا لم تشأ:
استوى كلّ شيء:
كلام يقول الكلام إذا لم ترده،
هروب المدينة من معصميّ لذيذ/

مرير...

كطعم الحناجر مسكوبة في الموائئ؟!

تحيا الحقيبة!

تحيا الجريمة إن زحرفتها السّطور قصيده!

فغنّ إذا لم تشأ:

استوى كلّ شيء.

وخلفي البلاد بعيدة...

وبيني وبينني،

على صهوة اللّيل:

كانت بلادي قريبه!!؟

.٢١.

نعود من الصّمت للصّمت: في الصّمت نحلم بالزّيفون.
ونحلم أيضا. كما كنّا نحلم. بالانتظار... ونحلم بالتيه كم مرّة
سيعود من الأغنيات، على الأغنيات، وفي طبق الشّاي... نحلم
بالرّاحلين، وبالعائدين بأسمائهم من مساءات «بليس»...
نحلم كم مرّة. كم شتاء تقمّصت الرّوح فيه الخريطة/ كم
دمعة في سلال البكاء...

نعود إلى الجسر في كلّ يوم،

نخاطبهم في رحيل المياه.

وفي الشّرفات...

على دمعة في الكنائس:
كم «لندنا» سنخاطب؟
نعود إلى الجسر من كلّ وجه،
ليحتكم الماء فينا لصمت المدينة...
غنّ،
فبعد انتشار العصفير في جوقة الليل/
يأتي الرّجاء...!
.سنمضي.

... فمن أيّ وجه سنمضي؟
وفي أيّ بيت من الشّعري اعترف «المتنبّي»/
بأنّ النبوءة في صرخة الجرح محض انطفاء؟
لنا «المتنبّي»/
وفيض التّبوءة،
دعنا، ليحتكم الماء فينا لصمت المدينة/
يهجرها الشّعراء!
لنا ما تبقي من الجرح،
يكفي لأن يلد الماء رحم القصيده.
... نعود من الليل ليلا، رأتنا التّوافذ حين انتظرنا، ولم يرنا
العابرون...
لماذا نأت قطة في الشّوارع،
خافت سوادي...
ولم تنتظر خطوة الرّاحلين؟
فوحده، هذي التّوافذ تعطيك سفر الخروج،

ووحده،
خلف النجوم تخطّ الموائل/
دمعا لوجه النهار الجديد.

.سنمضي:
لنا ما تبقى/
وما سوف يبقى؛
لنا أن نحار إذا غيمة عانقت لوزة؛
(قرأت من نشيد الليالي التي سبقتنا،
مدائح تذبج للبحر في كلّ عام...)
لهم أن يكونوا بوجهين مثل الظلام؛
لهم ما لنا... خيمتان،
لهم ما لنا... زورقان؛
لنا ما لنا...
ما لنا،
ما لهم،
رحلة العزل للمرزيبان الأخير؛
لنا ما لنا،
ما لهم/
غفوة للصباح على عتبات السرير.
لنا ما لنا...
كم لنا من أنا؟
كم لهم من جواب على دية العاشقين؟

وكم لاذ فهم سؤال على صهوة النَّاجِ/
فوق الأمير؟

لنا ما لنا...

كم لنا... ما لنا،

ما لنا... كم لنا من شتا؟!/

ما لنا/

لوعة الورد بين الأفاحي،

ونافذة علقتنا على ريشها «مريما»؛

والمسيح احتسى في رضاب المساء:

«ولدت من الثّوت في بيت لحم،

تعلمت في سفركم هفوة اللّوح.

كيف تصبر الخرائط أكبر من حجمها،

كيف أعطي الحليّ خوارا،

وكيف الممالكك يفشون سرّا/

على جبة البؤساء!

... ولدت من الرّيح،

هل تعملون؟

وأمي استعازت برّب الشّمال.

ورّب الجنوب...

استعازت بصبر النّخيل.

... ولدت صفيًا لبوّابة الطّور في التّيه؛

ما كان طوري شقيًا،

وما كنت موسى تريقون فيه الخوارعتيًا.

سلام عليّ إذا عشت فيكم،
ويوم أموت سلام عليّ،
وفي رحلة الاغتراب سأبعث حيّا...
سلام عليّ،
سلام إذا عمّته الحروق،
سهرب متّي إليّ...!!»

. ٢٢ .

... مزاريب لندن:
يا ياطرا للقطا؛
مزاريب حيّ السّقاة لتتوّرة الدّفء:
يا سوسنا دفاّته الشّفاه/
وغارت عليه ثقوب المساء؛
أيا شاطئ الاغتراب اللّذيد:
تنازل قليلا،
ترجّل على قمقم الرّوح،
فاشرب رحيق اليواقيت،
رتّب دموع الرّمان،
ومدّد أناشيدك الملصقات بخدّ المكان.
أيا شاطئا من بعيد البعيد:
مزاريب لندن جمّيزة غرّيتي،
ووجهي يحارب وجهي.

أيا شاطئي:

.لا تكلني...

فإني وجدت اللغات تبيع اللغات،

ومن لم يجد وطنًا في برید... تشرّد؛

وكانت عليه جميع الغزاة.

لنا فندق واحد،

دقت واحد... غرفتان،

ونافذة من رخام؛

لنا خيمة، واحتراق الشعير على بيدر... كلّ شيء نسيناه من

أبجديات مرّ الكلام؛ لنا قدم من قديم، وخيل وعير، ومصر

وشام... لنا ما لنا! سمرّة تحتسينا فنعرف أنّ الزّمان سليل

الزّمان؛ وأنّ الوجوه إذا لفحتها المرايا سيصبح لون الوجوه

رموزًا لحدّ المكان...

لنا فندق واحد.

لم نعد جسدا واحدا،

من قديم عبرنا على صهوة البحر،

والبحر... إمّا انشطار/

وإمّا التأم!

لنا ما تبقى

وما سوف يبقى.

وإن...

سوف يبقى الخريف سنبقى،

وإن يعتر (ي)نا الرِّبيع سنرقى انتشارا،
وإن يأت هذا الشّتاء/
بنينا على العشّ غيما
وقلنا:
«هنا ماتت الطّير قبل الأوان...!!»

. ٢٣ .

قفا لحظة:
نشرب الصّحو ثانية،
ولتغنّ «سليمي» على قمر واحد في الرّصيف.
أرح نجمتيك على وردة الدّار،
خبّي بقايا العيون بمزودة الدّمع،
علّم صغيرك أن يقرأ الخطودون امتنان .
لكي يقتفيك...
ورتبّ كلاما يغتّى على مغزل اللّيل فوق النّوافذ،
سدّد ختوم البريد بيارق...
... قفا لحظة:
نشرب الصّحو ثانية،
ولتغنّ «سليمي» على رجل واحد في الرّصيف.
أريحي كاحليك... «سليمي»:
قفا لحظة:

نبك هذي الديارا،
ففينا المدى للبعيد... البعيد:
يقرب منا الديار كظل لصيق.
«سليمى»... أيا طللا دارسا شبّ فينا صغارا
ولاكته في مشمش العمر مقصورة الشعراء.
بنيناه في كل بيت بثلج الحروف،
حفظناه قبل الولاده
وبين الوساده،
وفي هجرة الرمل بين الجزيرة،
كنت. «سليمى». كما المعجزات:
فبيت صليل/
وبيت شهاده.

قفا لحظة نبك هذي الديارا
ونبك الطلّول ونبك مرارا
على جسر لندن كنا بحارا
ومن جسر لندن صرنا غبارا
قفا لحظة نبك فينا البحارا...!

قفا لحظة:
نشرب الصّحو ثانية،
ولتغنّ القيان/
لنرقص على قدم واحده.

نغترب في البياض /
وفي باحة البرتقال التي حملت حزنها /
في صهيل الحروب...!

.«سليمى».

قفي أسحب الكحل من حقّ صوتك،
هاتي مراويدك المشرعات /
أعلّق على خوصي المستظلّ بموت الوجوه...
شبيها لوجهي،
أرتّب مسار التّهارلشمسي وظلّي؛
غدا، يا غبار المدينة /
من يرحلون هم العائدون...!

غدا، بين كلّ الوجوه، ستأتي «سليمى»؛ ولن يهرب الظلّ
منّا... سنأتي لنهدم عشّين في صدر لندن. آه، ترى من سيلقي
الشّوارع في راحتينا «سليمى»؟ ترى هل تطيب الجروح على
قبلة في المعابر؛ واللّيل إذ يجمع النّخل في نجمتين، نجوز
الظّلال على حدق في التّوافذ/ نزرع في ظلّة الياسمين حروفا.
نقول: غدا، سوف يأتي ربيع، ويمضي شتاء... يفيض خريف،
وصيف سيهدي مكاتبنا سلّة المهملات!
لنا فندق واحد،
دفتر واحد... غرفتان،

ونافذة من رخام.
لها... أن تمرّ القطارات في نفق واحد،
أن تزقّ الحمام أفرأخها،
أن نسير...
نسير إلى زاويه.
فلتغنّ الميادين في كلّ لندن:
«يحيا السّلام... لنشرب على نخب صيف جديد؛
وندعو جميعا بأن يرحل الطّارئون،
فنحيا لعام جديد...!»

قفا نيك هذي الدّيارا
ونيك الطّلّول ونيك مرارا
على جسر لندن كنا بحارا
وفي جسر لندن صرنا كبارا
قفا لحظة نرث فينا المحارا

.انتهى.

(المتلوّي . تونس . ١٩٩٨)



وداعاً، أيها الغار المقدّس!!

* الإهداء *

إلى النعم الذي لا يموت

«محمود درويش»...

بعضاً من دين كبير!!

الإمضاء: ص. شعباني

* تصدير *

أعطني النَّايَ وِغْنَ فالغنا سرّ الوجود
وأين النَّاي يبقَى بعد أن يفنى الوجود

جبران خليل جبران



.١.

يحاصر الصّمت المكان؛
لا مهرب الآن من الموت المقدّس،
لا مفرّ...
تصفراً أوراق الخريف،
يرسو المساء ممعنا في صمته المعتاد...
يرسو المساء عابرا،
أوحائرا،
أوثاكلا.
ينعى إليّ ما منحت للسرّاب،
ما منحت للخراب...
ينعى الصّبّيّ الشّيخ،
لم يعرف لماذا شيّعوه دونما موت قليل؛
لا يعرف الطّفل المسجّي في ثنايا الياسمين.
في هروب الدّمع من عينين.
في الدّار القديمه.
هذا الصّبّيّ الشّيخ،
لم يعرف لماذا شيّعوه دونما حزن.
ولو كان قليل.
هذا الصّبّيّ الشّيخ،

لم يعرف لماذا،
أو لماذا يهرب الآن من الموت المقدّس،
لا يريد الموت للأوراق...
تصفرّ أوراق الخريف،
يرسو المساء ممعنا في صمته المعتاد...
يرسو المساء ممعنا في صمته...
يرسو المساء ممعنا في...
يرسو المساء ممعنا...
يرسو المساء.
يرسو الخريف عابرا،
أو حائرا،
أو حاملا اسمي المشوّه.
حاملا خوفي المموّه.
أو حاملا همّي الغريق نازفا
للصّدف البحريّ،
للمضائق الأخرى،
وللطّريق...
يحاصر الصّمت المكان؛
لا مهرب الآن من الموت المقدّس،
لا مفرّ...

. ٢ .

كانت يداي تحضنانا البلسم الأبيض،
تمتدّان في ظلّ الطّريق...
والأصدقاء؟! .

ما للرّفاق استوطنوا صمت الرّماد؟
ما لهمو الرّفاق غادروا...
مضى الرّفاق في الهتاف؟
ما للرّفاق كلّهم .

أخطأت الطّريق خطوهم؟!
هل الطّريق رحلة أخرى...؟
هل الطّريق وجهة أخرى...؟
أم الطّريق راية التّيه الأخيرة .
ساحة الموت الشّهيره...؟! .

كانت يداي تحضنانا البلسم الأبيض،
تمتدّان في ظلّ الطّريق...
من ألف عام .

كانت خطاي تسكن اللاّزب الأسود،
تمتدّ على طول المضيق...
من ألف عام .

عيناى كانتا تريقان ندى السّراب،

تحملان الأمل الغريق...
. من ألف عام.

كانت يداي .

كانت خطاي .

عيناي كانتا

(من ألف عام)

مرايا .

كانت الصّمت الغميق...

والأصدقاء؟!!

تركتم؛

كلّ الرّفاق...

ما للرّفاق استوطنوا صمت الرّماد؟

ما لهمو الرّفاق غادروا...

مضى الرّفاق في الهتاف؟!!

يحاصر الصّمت المكان؛

لا مهرب الآن من الموت المقدّس،

لا مفرّ...

تصفّر أوراق الخريف،

يرسو المساء ممعنا في صمته المعتاد...

يرسو المساء...

.٣.

وترقبت الرفاق العائدين...
لا يعود الأصدقاء العائدون،
لا يعودون بشوق مثلما كانوا.
كما كنا صغاراً،
نحفن الأفراح...
نستلقي على الأرض عراة،
وأكفّ الوجد. في سحر الأصائل.
ترتوي من طلنا الطفلي،
من أحلامنا الحبلى حنيناً.
ترتوي من ظلّ أزهار الربيع.
في امتلاء الأرض،
في أجسادنا...
ترتوي من شوق عمر لا يموت؛
(قد يموت الغار في غاباتنا.
تنأى المسافات.
يشيخ القلب والأشياء...
يشيخ الحزن والأسماء...
قد أشيخ؛
ويقود الظّاعنين الميّتين.

في المتاه المستكن .
شحت الطّريق...
قد يقود الظّاعنين الميّتين .
في المتاه المسترقّ .
سفر المسافر المسكون بالذّكرى
وأسرار المضيق...
قد يموت الظّاعنون الميّتون
بأكفّ الوجد في سحر الأصائل)
لكن العمر الطّفوليّ يكون الطّلّ .
في أجسادنا ،
يرتوي من ظلّنا ؛
ويكون العمر في سحر الأصائل ،
يرتوي من حلمنا ؛
ويكون القلب والأشياء...
ويكون الحزن والأسماء...
يرتوي من سحرنا السّاري مساء ،
يرتوي من سحرنا الغادي سماء ؛
ويكون اللّوح في سفر الخروج...
ويكون السّوسن الماسيّ في إطلالة الحادي ،
وخبّ العير في لين الصّحارى ،
والحيارى...
ويكون الحرف في كلّ المرايا ،
يرتوي من صمّتنا ؛

ويكون الحرف في كلِّ الوصايا،
يرتوي من وحيناً.
ويموت الظّاعنون الميّتون
بأكفِّ العمر في سحر الأصائل،
لكن العمر الطّفوليّ يكون الطلّ في أجسادنا...
لا يعود الأصدقاء العائدون،
لا يعودون بشوق مثلما كانوا.
كما كنّا صغاراً،
نحفن الأفراح...

. ٤ .

لا تغدّ(ي)ني... ولا تقتل بقاياي، فقد مرّ الرفاق؛ لا تغدّ(ي)
ني، فما في القلب غير الاحتراق؛ ما بروحي غير روجي رحلة تمتدّ
في كلّ الجهات، تستقطب الحرّيفنيها شعاعاً... تستلذّ التّيه
كي تنسى، وتنسى أنّها في التّيه تنسى أنّها لم تعرف الأشياء فيها؛
لم تكن في اسمها السّحريّ اسماً عالقا بالذّاكراه... لم تحفظ
الأسماء فيها، لم تحدّ يوماً عن الخطّ اليمين، لم ترف في تمهها
بحر الشّمال... لا تغدّ(ي)ني، فلي من غصّة الصّمت رقيق. لا
تغدّ(ي)ني، فلي في وجهها ظلّ سحيق؛ لي على أهدابها، في حزنها،
في صوتها. المرجان «كافا» كان... في صوتها المرجان «نوننا»
كان... في صوتها. المرجان «كن» حرف الكيان / ساحة للصّمت

.اسما عالقا بالذّاكره... رحلة تمتدّ في كلّ الجهات، تستطيب
الحرف يفنمها شعاعا... تستلذّ التّيه كي تنسى المسيح حاملا
كلّ الخطايا والبقايا؛ تستلذّ التّيه كي تنسى بأنّي لم أمل يوما
عن الخطّ اليمين، لم أر في التّيه غير البحر أسكبه . في حمّى
الأصيل . سوسنا في شعرها، طلاً خفيف الظّلّ في أهدابها،
موجاً رقيقاً حاملاً في صوتها... لا تغدّي(ني)، ولا تقتل بقاياي،
فقد مرّ الرّفاق؛ سافروا في مهمه الصّمت المسافر... علّقوا
كلّ الرّوايا في انسكاب اللّيل، والكأس الأخيره... والسّجائر.
لا... لا يعود الأصدقاء. لا يعودون بشوق مثلما كانوا. كما كنّا
صغاراً. والقمر... تفّاحة القلب الأخيره... بابه النّائي بعيداً
في انهيار الضّوء، لا يسألني: كم ساعة تحتاجني/ كم ساعة
تحتاجني كي أنظفي فيها سكوناً/ تنظفي فيّ حيننا. والقمر...
مشكاة قلبي/ همّي التّيني.../ بيتي الطّيني، لا يسألني: كم من
مساء قد يضيق في حدود الخوف؟ لا يأتي الرّفاق! كم رفيقاً لا
يرى في الضّوء غير الضّوء يمتدّ انتشاراً في ثنايا الظّلّ... لا يرى
خلفي النّشيد... لا يرى القلب المسجّى والهديل المستحيل... لا
يرى غير الضّياء. لا... لا يعود الأصدقاء العائدون... لا يعودون
بشوق مثلما كانوا. كما كنّا صغاراً، نحفن الأفراح...

.٥.

طوبى صديقي الرّائع المفتون،

تأتي حاملًا همّي مساءً،
حاملًا في مقلتيك مدائن الأشواق .
والعشاق...
تأتي حاملًا همّ الخرائط والجهات،
وبقيّة من حلمنا المهتاج
في صخب المدينة والشوارع...
هل رأيت ممالكا في بحر عينها؟
رأيت الماء يسري في بحار حروفها؟
وحفنت من أحزانها حتّى الثّمالة؟
قلت في زمن التّجرّد،
لا مفرّ من الهزيمة،
والجيوش على تقاسيم الحصون،
على التّئام الجرح في زمن المناورة. المنارة،
في بلاد لم نكن فيها انسكاب الرّوح .
كنّا شارعًا لا ينتهي في مدّها النّيليّ
نحترف الدّخان،
ونشرب الأحزان خمرتنا الأخيرة .
لم نجد في الخمر بغيتنا الأثيرة،
فانتهينا في الزّمان المرّ .
عاقرنا الخطيئة مرّتين...
لم نجد في الخمر بغيتنا الأثيرة،
فانتهينا في الزّمان المرّ .
مارسنا الغواية زهرتين،

كي ننتهي من عذرنا الطّفليّ،
كي لا ننتهي من حبّنا العذريّ،
من درّاقَة تستوطن الأوراق
والصّمت الأخير...
طوبى صديقي الرّائع المفتون،
تأتي حاملهم المساء،
وتعلن العشّاق أوردة السّماء،
ونورها الوضّاء،
والقمر المشاكس في حدود الضّوء .
يهزأ من غبار الوقت تحجبه قتاماً .
يهزأ القمر المشاكس في حدود الضّوء،
من زمن الرّداءة في الكلام،
ومن جسور لا نرى فيها الظّلال،
ومن جسور لا نعاقر في امتداد الشّوق فيها
أوبة العشّاق /
والأشواق /
والمدن الضّليلة .
ما ليافا يا صديقي الرّائع المفتون،
تأتي ثمّ تأتي...
في الهزيع المرمر المسكون ترحل؟!
ما لبيروت القصيدة
لا تبالي بالسّكارى والحيارى /
والدّخان الأزرق النّيليّ...

تحسبنا بغايا ثمّ تحترف الخلابة والدّخان؟

. ما لصيدا؟

. ما لقرطاج العشيّرة قبلها؟

. ما لها/

أم ما لنا؟!

طوبى صديقي الرّائع المفتون،

تأتي حاملا همّك،

وإني في الهموم المعضلات

بمثل همّك...

طوبى صديقي...

طوبى لي إن كنت مثلك!!؟

.٦.

في زمان الاحتراف... في زهرة القمر الأخير، وفي ليالي الشّوق
يسكننا الدّخان، فننتشي ويعرّش النّخل القديم على مدار
الجرح فينا، يستبيننا العمر، يأخذنا الحديث إلى الأقاصي،
نذكر العشّاق والأشواق... يأخذنا الحديث، يفرّع الأحلام
في أعماقنا... ويفرّع الجرح الهديل مساربا، يمتدّ في طول
المضيّق، فنستفيق!! في زمان الاحتراق، نذرت للحلم القديم
بأن أسافر في انكفاء أتونها، وبأن أبلّل من دموعي صوتها، كي
تنظفي كلّ الحرائق في مدار جروحها، كي ننظفي شجنا، نفرّع

في زمان الاحتراق، في زهور الشّوق، في تفّاحة القمر القديم،
وفي احتراق الخوف، في سفر الدّخان... لا تغدّي)ني، فلي من
صوتها صمت الكلام، ولي من الحزن العميق شوارع... لي من
تناهي هديها الأسوار؛ لي من كلّ شيء آيتان وسورتان، ولي
الوصايا؛ أحمل الحزن العميق لي الخطايا؛ إنّي شبه المسيح
على الصّليب... وأحمل الحزن العميق، ولي من الطّور التّرانيم
القديمة، لي خوار الشّوق والتّيّه السّديم، لي الخوار ولعنة
الألواح... طوبى لي رداء اللّيل يسحبني إليه، ويسحب الأشياء
والأسماء، يسحبنا الكلام إلى البدايات العتيقة في انسكاب
البحر، في سفر الشّواطئ والخرائط والأغاني... في جنون
الرّم، مملكة الخيال... طوبى صديقي الرّائع المفتون، تأتي
حاملًا في مقلتيك مدائن الأشواق والعشّاق... تأتي حاملًا همّ
الخرائط والجهات، وبقية من حلمنا المهتاج في صخب المدينة
والشّوارع... (هل رأيت ممالكا في بحر عينيها؟ رأيت الماء يسري
في بحار حروفها؟ وحفنت من أحزانها حتّى الثّمالة؟ قلت في زمن
التّجرّد، لا مفرّ من الهزيمة؟) أه محرقة الكلام على الكلام!
وأه مملكة الدّخان! حديثنا الآن انتشى حتّى انتهى، واللّيل
مدد ساعديه، فنام كالكلب المقدّس، كاحتجاب الأصدقاء
العائدين، وكالحيارى، كالسّكارى. إنّي... طوبى صديقي الرّائع
المفتون، تأتي حاملًا همّك؛ وإني في الهموم المعضلات بمثل
همّك... طوبى صديقي... طوبى لي إن كنت مثلك.

لَمَّا رَأَيْتَهُ جَاوَزَ الصَّمْتَ الْأَخِيرَ
فَمَضَى وَقَدْ شَقَّ الْهَدِيرَ الْمُسْتَثِيرَ
وَمَشَى إِلَى الْمَقْهَى بِخَطْوِ كَالْأَثِيرِ
كَانَ الْخَرِيفُ يَلْفَهُ مِثْلَ الْعَبِيرِ
مَرَّتْ يَدَاهُ عَلَى الْمَكَانِ بِصَمْتِهِ
وَتَلَا الْمُنَاضِدَ كِي يُوَارِي طَيْفَهُ
وَسَقَا الْفِرَاقَ بِطَيْبِهِ وَبَطْلَانِهِ
ثُمَّ انْتَهَى يَطْوِي الظَّلَالَ وَظَلَّاهُ
ناديته...
راقبته...
خاطبته...

حاورته في الصَّمْتَ فانسكب المساء
وسها الطَّرِيقَ وجاءت الأشياءُ
حاورته في الصَّمْتَ فاحتفل المساء
ونأى المضيقَ وكانت الأسماءُ
ناديته من ألفِ ذكرى مثلما
نادت تباريح الفؤادِ سماءُ
ناديته صوتاً خبيئاً مسنني
منه احتراق حارق وضياءُ

راقبته يمشي الهوينا قبلتي
يا قبلة في طمها الإحياء
راقبته يمشي الهوينا ناشرا
كل الطريق كأنه اللألاء
خاطبته سرا وجهرا ليتني
في الصمت كنت مخاطبا وبى امتلاء

.٨.

نشرت الآية الأولى،
فكانت مثل عينها...
وعيناها بساتين/
من الصمت المجفف،
من مواويل...
ومن موت الحروف المهملات،
من بدايات الخريف،
من نهايات المساء،
من مسافات الرصيف...
نشرت الآية الأخرى،
فكانت بعض عينها،
وكانت مثل صارلا يمل البحر،
مثل الظل تلقيه الزهور على الزهور...

ومثل الآية الأولى،
مثل الآية الأخرى،
فلا فرق،
كفرق النَّارِ يحجمها الرَّمَادُ،
مواويل...
مواويل...
وإني في الشَّرَابِ لواحد،
لا خَلَّ لي /
غير الرفاق العائدين،
أنا انتظرتهم الزَّمان فلم يعودوا .
إني الآن انتظرت فلم يعودوا،
لا مناص...
العمر أسكبه دما...
سمًا لذيذا /
أرتضيه لبعض نفسي
كي أراك زهرة التَّفَّاحِ
كي يأتي نديماي الحزاني
نرتضي بعض التَّعَاتِبِ،
لا نفيق من الشَّرَابِ،
ولا نفيق من الرِّحِيلِ /
إلى الأَقَاصِي...
نعبر الجزر الضَّلِيلَةَ
كي نراك،

وكي نرى في بحر عينيك الأفاصي /
والأماسي،
كي نرى طروادة العصر القديم .
نرى السديم .
نلتقي عوليس، نسأله ختاماً:
.كيف لا يمضي الجنود كما أتوا؟
.كيف الحصان اللاهب الظمآن،
لا يأتي المدينة من مكان سرّها،
من بوحها .
وهو الحصان بلا مكان .
هو الحصان بلا زمان .
هو الحصان الآن مملكة الدخان
هو الحصان الآن محرقة الزمان /
على الزمان؟!
مددت الآية الأولى،
فكانت مثل عينها .
مزيجاً من متاه الخوف
من سفر الدخان .

.٩.

... وداعاً أيها الغار المقدس! لا عيون الآن في بيروت تحجبني

عن العدو الأخير؛ ولا مساء يكشف الأسرار يأتي، ويسألني
عن الدار التي كانت لكلّ الناس؛ كانت تستضيف البحر
يومين... وتعطي سرّها القلق المسهّد للشواطئ، للمنارات
القصيّة، ترتوي ممّن سيأتي من محيط الخوف، من خلجانها
الدنيا. وداعا يا سمرقند! الفلائك لا تغامر في مياه الموت،
والربّان معذور، فقد قصّوا يديه وساعديه، وقالوا: لا تأكل
من السمك المحرّم؛ لا تقل في خمر بصرى إنّها خمر، ولا حرب
البسوس حروب ثار، لا تقل إنّ المناذرة الألى شادوا القصور
على جفون الشمس، شادوها فكانت كالزّمان على الإيوان
ومثل كسرى... يا إله الصّمت، يا كسرى المعظّم، يا إله
النّخل والرّمان، يا ربّ التّفرد والتّوحد والقيان؛ لقد تحامتنا
القبيلة والعشيرة، فانتهى فينا انتماء التّيّه؛ عافتنا الأباطح
والظّواهر، قد خلعنا... سمّها دارا لنا هذي المدائن؛ والتمس
دارا لنا في كلّ بابل... سمّها العير الرّمال، وسمّها أخفاننا ليّنا،
وغرغرة الهلاك توهّجا في سجسج الأشواق، في خمر الحجاز،
وقينة تأتينا من شحط الطّريق، ومن وهاد سماوة الغراء،
من حرّ البقيع، وجيرة سكنوا النّجاد... وسمّها ما شئت،
يا كسرى...! يا إله الصّمت، يا كسرى المعظّم، قد تحامتنا
القبيلة والعشيرة، فانتهى فينا امتداد الفتح، أبدلنا الجزيرة
مثلما تستبدل الألقاب والأحزان والأوهام... عافتنا الظّواهر
والأباطح، قد خلعنا... سمّها أحلامنا خمرًا، وسمّ الماء خمرًا،
والهوى خمرًا، ولون النّار خمرًا؛ والمساء، هات الرّمال إليه،
وارسم هدبه دارا، وقل للبحر ملم شاطئيك، فهؤلاء طلائع

الركب المسافر من حنين الدهر، من بدء الترمّل، من وشيش
الحنن، من دفق العذاب؛ وسمّها دارا لنا هذي المدائن،
والتمس دارا لنا في كلّ بابل... سمّها العير الرمال، وسمّها
أخفافنا لينا، وغرغرة الهلاك توهّجا في سجع الأشواق،
في خمر الحجاز، وقينة تأتينا من شحط الطريق... وداعا يا
بخارى! لست مختارا، ولا أنوي الدّهاب، ولا أريد الموت خلف
النّهر، لكنّ المغول هم(و) رموني من وراء الفتح، شدّوني إلى
الحنّ القديم، ورمّوا الصّدف الغريق، لكي يكون الظلّ
خيمتهم، وعيناها المطارف خلسة، والحنن في أهدابها فرش
الجميع... ولست مختارا، بأنّ ينأى الرّفاق ولا يعودون...
سأقسم أنّي لو كنت فيهم ما تركت السّور يسقط؛ ما تركت
النّهر تنكحه الحوافر والخيول؛ وما تركت القائد التّريّ يهجو
كلّ حبر عانق الأوراق، داس حروفها ومدادها... وسأقسم،
الآن انتهيت، فما أبالي يا بخارى! أقسم الآن انتهيت، فما
أبالي... لست مختارا، ولا أنوي الدّهاب، ولا أريد الموت خلف
النّهر، لكنّ المغول هم(و) رموني، يا إله النّخل والرّمّان، يا
كسرى المعظّم...؛ يا إله الصّمت، يا كسرى المعظّم: هل رأيت
خضابها في كفيّ اليسرى؟ قرأت حديثها في زورق في مدّ عينها؟
وكنت مشاهدا جسر التّناهي حافلا في صوتها؟ عشاقها؟
أسماءها الخمسين تحبو من وراء شجونها، خلف التّداعي،
كي تعانق شدوها؟ وأكون في أسرارها بدء التّجليّ، واختلاف
الوجد في كلّ الحروف، مدائن صمتها؟... الحان، يا كسرى
المعظّم، سمّه حانا؛ والنّدامى لا تدع كلّ المغول تأزّم كي

نشرب الأنخاب، نعتنق الهوى في الخمر، ننسى أننا من ألف
عام كنا نعتنق الشراب، ونزرع الأشواق في العمر السديم،
نبدد الأيام، نبحت عن إله ضاع منا، يا إله الصمت، يا كسرى
المعظم: سمها دارا لنا هذي المدائن، والتمس دارا لنا في كل
بابل... سمها العير الرمال، وسمها أخفاننا لينا، وغرغرة
الهلاك توهجا في سجسج الأشواق، وانشر آية أولى، تكون
بمثل عينها... وعيناها بساتين من الصمت المجفف، من
مواويل... ومن موت الحروف المهملات، من بدايات الخريف،
من نهايات المساء، من مسافات الرصيف...

. ١٠٠ .

لقلبي رحلة الهم العتيق
ولي دمي المهرب في المضيق
ولي طرق بلا خطوتيني
من الشيطان والسفر السحيق
ولي، لا شيء لي غير الحنين
إلى القلق المشاكس، للطريق
ولي هم يداري كل همي
وقلب لا ينام ولا يفيق
ولي صمت كصمت الأيك يحب
لني فلكا وماء من عتيق

فأدعو كلّ ندماني لمأما
ونصحو حيث نشرب لا نفيق
ونبكي بعض ماضينا سوياً
فكلّ العمر ساعات تضيق
وتأتي في بريق الخمر ليلي
فتذكي في مرابنا الحريق
وينأى صاحبي عني ملياً
فليت بلاد ليلي كالبريق

وليت بريق خمرتنا رواح
إلى الأمس الموشح بالعقيق
وليت الليل يسكبنا نجوماً
على كفّ السماء فلا نفيق

لقلبي رحلة الهَمّ العتيق

سلوت الليل ليس لأجل ليلي
وليلي مجمع القلب العميد
ولكن قد سلوت الليل عدوا
وراء الشّوق والعمر الفقيد
ونجم في السماء يملّ نجماً
إذا الخلآن لفهم(و) الوصيد
وصوت في خواء الرّوح يدعو

بكلِّ رقادِي المدمى بعِيْد
ونهر حول شطّيه امتلاء
نرى في حدّه قصراً مشيد
لقلبي رحلة الهمّ العتيق
ولي دمي المبعثر في الوريد
ولي طرق بلا خطوتيني
من الشّطآن والرّحم العنيد
ولي، لا شيء لي غير الحنين
إلى الهرب المقدّس. للبعيد
ولي همّ يداري كلّ همّـي
فخير الدّاء ندمان وبيد
وشرب ظامئ من عهد عاد
إلى أن ينتهي السّفر الشّريد
ويمسي الخطونشوانا عميدا
فليلي اليوم في حلل تميد

لقلبي رحلة الهمّ العتيق

. ١١ .

وداعا مقاهي الشّرق...
يا آخر الأشواق .

يا ملتقى العشاق...
هذا الخريف الآن يأتي،
وكلّ الحزن يأتي...
ونحن القادمون كأشباح الرقيم،
نقول الربّ ألهمنا.
الربّ أعطى بدايات التجلّي...
وأعطى ما يشاء لمن لو حلّ فيه،
تناهى في المساء،
وضاعت فيه ليلي وأشواق السّماء...
ونحن...
كما كنّا.
وكنّا.
ظماء للبياض،
لمقهى يستريح الآن فينا،
وأفراح تراقصنا.
من سوف يأتي،
ويمضي نحونا.
ينتمي في آينا...
أه، يا صاح، القصيدة شظّتنا؛
ونحن بلا مأوى يخبئنا.
نحن الحزاني،
بلا ظلّ يقينا من الأشواق،
من همّنا،

حرّ القصيده...
ونحن المتعبون...
عبرنا كلّ همّ؛
صحارى التّيه تشهد:
. أنّ الموت موت،
وأنا قد عبرنا بلاد الصّمت للموت؛
نحن المتعبون...
عبرنا كلّ همّ؛
صحارى التّيه تشهد:
. أنّ الموت اسم.
لبسنا حرفه،
ومشينا ننشد العشق...
ليحيا الموت فينا،
فلن نرمي السّلاح؛
ليحيا الصّمت فينا،
فلن نمضي بعيدا،
ولن نمشي الهويّنا،
إلى النّسيان يعلكنّا؛
لن نسلم البوح لغير القادمين.
ونحن...
كما كنّا .
وكنّا .
ظماء للبياض،

لمقهى يستريح الآن فينا،
وأفراح تراقصنا .
من سوف يأتي،
ويمضي نحونا .
ينتمي في آينا...
آه من حرّ القصيده...

. ١٢ .

وأحبت عن قصد مطي رواحلي
وألقيت في البيد الرواسي مجاهلي
أضاجع ليلاكلّ نجم مفارق
فينفضّ قلبي عن ربوع معاقلي
وأشهد في أرض الجزيرة . راضيا
نشيدي بأنّي قد وفيت لقاتلي
لك الله بعدي يا أميمة فاصبري
إذا الدّمع أشقاك بقرب قوافلي
وقولي إذا وليت وجهك قبلة
بليت فما أرضى بلائي عواذلي
عسانا بحمد من فراقنا نلتقي
ويشكو كلانا النأي بعد ترخّلي
أقيم بدار أنت فيها غريبة

وإني بأخرى حيث شاءت مسابلي
وفي القلب أنت غير أنني معيبه
لذكراك أن تعدو عليها فواعلي
فنامي كما لو أنّ ظلي ما انتفى
قريرة عين غازلتها دواخلي

. ١٣ .

سلاما مقاهي الشرق، هذي أمانينا، وهذي بلاد الله
تحجبنا، هذا خريف بلا أوراق... هل، يا مقاهي الشرق،
تنسين عشاق الخريف؟ وتنسين الخرائط نمشي على
عسجدها، نمشي على ألوانها، لا نرى من مائها التهر، لا...
لا نستطيع بأن ننسى، ولا أن يوارينا الدخان، لأنّ الموت لا
يرتوي من عشقنا، لا يريد الموت حين نقول الحزن، تمضي
بنا الأحلام للموج، تلقينا الشواطئ للأطراف، للخمر تأتينا
على ظمأ، تلقي بنا من مهمه الشوق للعمر المضاجع، للصبمت
المسجى على أهدابنا... يا مقاهي الشرق، هذي أمانينا، وهذي
بلاد الله تحجبنا، هذا خريف بلا أوراق... يأتي رفاقي العائدون،
ويأتي كلّ من داس بستان الجراح، وأدمت مقلتيه تباريح
التشرد... يا ندمان روجي: علينا أن نبادر فالليل المقامر لا
ينثني... لا يريد الصحو يجمعنا؛ يمضي عنيدا، ولا يمتدّ في
الشوق، في الخمر العتيقة... ونحن نقول الصبمت، ننأى. لنا

البحور اللّواتي يخالسن الزّمان لحاظا مثل سحر سيفشيه
المكان. لنا المقهى نجربّه في محفل الاسم، نحبيه انبعاثا،
ونمضي في الدّخان، إلى الأحزان. نحن ظماء للبياض، لمقهي
يستريح الآن فينا، وأفراح تراقصنا. من سوف يأتي، ويمضي
نحونا. ينتمي في آينا... أه، يا صاح، القصيدة شطّتنا؛ ونحن
بلا مأوى يخبّتنا. نحن الحزاني، بلا ظلّ يقينا من الأشواق، من
همّنا، حرّ القصيده... سلاما لأحزان ستأتي، لأفراح ستأى،
سلاما أيها العمر، يا بستان روجي، فما عدت الأمام، ولا عاد
الأمام إماما، بقفطان التّرهب، بالريح الذي في ترانيم الكتاب،
في أردانه، في ثنايا صوته... والسّلام الآن، سلّمت أنّ الشّرق
شرق، وسجّان الأمانى يمارينا كثيرا، فنبتاع الجروح، ويمتدّ
البياض على أسماننا... والسّلام الآن، نحن... كما كنّا. وكنّا
ظماء للبياض، لمقهي يستريح الآن فينا، وأفراح تراقصنا،
من سوف يأتي، يمضي نحونا. ينتمي في آينا... أه، يا صاح،
القصيدة شطّتنا، ونحن بلا مأوى يخبّتنا. نحن الحزاني بلا
ظلّ يقينا من الأشواق، من همّنا، حرّ القصيده... أراك عصيا
في السّؤال وفي الحزن المقدّس، لا يجتاحك اللّيل، ينسيك
الكلام بدايات الكلام، وتمضي في السّكون، ترى ما لا نرى،
ما نريد الموت فيه؛ ويافا، كلّ بيروت بستان، ومرج، مسافات،
وشعر... أراك، فأرقى في تعاريج عينها، أجاب أسرارها تبدّت
على أهدابها، أمتطّيا شعلة النّيران، أمشي على حرّ الحريق...
سما الله، هذي سما الله، فلنملا المقهى دخانا... سما الله،
هذي سما الله، فلنحرق المقهى غماما... سما الله، هذي

سماء الله، فلنكتو من كلّ شيء... نقول الهجس أرقنا، واللّيل
يحرقنا، والصّمت إن لم نقله الآن يلفظنا مثل التّقيح، لا
يمتدّ في صوتنا كلّ الحروف، وبعضنا من نشيد... مقاهي
الشّرق، هذي أمانينا، وهذي بلاد الله تحجبنا، هذا خريف
بلا أوراق... هل، يا مقاهي الشّرق، تنسين عشاق الخريف؟
وتنسين الخرائط نمشي على عسجدها، نمشي على ألوانها، لا
نرى من مائها النّهر، لا... لا نستطيع بأن ننسى، ولا أن يوارينا
الدّخان...

. ١٤ .

نجوع...
ليس لأنّ الخبز لا يغري
حنيننا:
ولأنّ الخبز...
لا أدم في طرفه؛
غير أننا لا نريد بأن نموت
دون حروفنا...
ودون كلام آخر؛
دون صمت يبعث الحزن،
لا يمتدّ في رمق الحريق...
والخبز شيطان،

على كفه تنأى الحروف،
وفي أسماله .
لا نشيد الحزن يأتي،
ولا صمت الإله؛
وفي أهدابه .
لا نرى بحر البياض،
ولا نمشي خطى،
في الزمان المستعدّ/
إلى الهروب...
نجوع...
ليس لأنّ الخبز لا يغري
حنيننا؛
ولأنّ الخبز...
لا أدم في طرفه؛
غير أنّا لا نريد
سوى ما بثّه الليل فينا،
لا نريد كما كنّا نريد
بأن نمضي فرادى،
وأن نقّات من وجع الفراش...
لا... لا نريد المشي أميالا،
لكي نرانا بلا ألواحنا،
كي نرانا رحلة تنأى،
وفي المتاه نرى ما لا نرى...

أبدا .
فلننته...
أبدا .
فليأتنا العمر...
ويحتفي فينا الكلام،
ونمضي لا نرى
غير ما كنّا نراه...
بلاد الله تحضننا؛
فليأتنا العمر...
يحتفي فينا الكلام،
ونمضي لا نرى
غير ما كنّا نراه...
بلاد الله تحجبنا،
كفّ الخريف تمدّ الشّوق فينا .
للضّياع...
وللمقهى البعيد...
لبستان الجنون .
حنين العمر للطفّل،
للّيل المسافر في هدأة النّجم الأخير...
ونحن الآن لا نشكو!!
نجوع...
ليس لأنّ الخبز لا يغري
حنيننا؛

ولأنّ الخبز...
لا أدم في طرفه،
غير أنّا لا نريد بأن نموت
دون حروفنا...
ودون كلام آخر؛
دون صمت يبعث الحزن،
لا يمتدّ في رمق الحريق...

. ١٥ .

لا تمتلئ قبل موتي، وانتظرنى صاحبي، يا كانفي... كي نرى
أشياءنا مثلما كنّا نراها؛ نرى الأحياء والمساءات التي أوقدت
فينا ضرام الصّبابات الأخيرة؛ كي نعتاد موقفنا... نعتاد مقهى
ليالينا الحزينة، والمذيع نرجوه أن يعلوبنا مدنا؛ يقتصّ من
قرف الأصوات، والضّحك المسكوب في لحن عبّاد الرّصيف،
وأن يلقي المحطّات في أشواقنا... نسمع الموال، ميجاننا؛
نمتصّ خمر العتابا والصّبابات، أبعاد البياض؛ ونرمي روحنا،
نجعل الأوراق ألواح... نلقي المجاذيف في رحم البحار،
نمّي حلمنا، نلعب الدّور الأخير: أنا البحّار، أنت منارات
المحيطات... أنت الملح، والصدف المشدود للعمق، مرجاني
وقوقعتي... أنت المياه إذا الماء انتشى، وغريب القول، ألعاننا،
يا كانفي... كم مرّة للمم التّيه العميق مراسينا، وتهنا، عبرنا

رحلة الموت، أسسنا مدائن من سمّ الدخان، من الأحزان، من زمن لا يعشق الموت الأخير، ولا يرضى لنا أن نريق الخمر في الكأس، أن نمسي ملائكة . لا تمتلئ قبل موتي، وانتظرنني صاحبي، يا كانفي... كي نرى أشياءنا مثلما كنّا نراها؛ نرى الأحياء والمساءات التي أوقدت فينا ضرام الصّبابات الأخيرة: كي نعتاد موقفنا... يا كانفي، تقّت أن أنساح والأرض أشلاء مبعثرة؛ واللّيل قاس، وروح الله تأمرنا: لا تشربوا... لا تقولوا الصّمت قبل بدايات التّوحّد... لا، لا تقلقوا قمري المعبود... لا، لا تسرقوا الحرف، بدء الكون حرف، مسيح أمّه نذرت أن تكرم النّخل، أن تمحو الكلام ثلاثا، أن تهادن حتّى ينطق الرّبّ في أحياء من رجموا أمّ القرى... تقّت أن أنساح والأرض أشلاء مبعثرة؛ واللّيل قاس، وروح الله تأمرنا: لا تقتلوا... لا تبالوا... لا تراعوا... ولا، لا تسرقوا لغة ليست لكم، إنّّي أنا الله العظيم، ولي أمّ الكتاب... أمشي وحيدا، وألقي خلفي المدن الحبلى بألف عبارات التّشّتت، لا أمتدّ في صوت أشباح الرّصيف، وفوضى القلق الموصوم بالجذب، وبالأخطاء، أنصاف أفكار بلا ألق... أطوي مسافات هذا الشّارع المنّفي، خطوي يمارس كلّ الخوف، يخشى بأن ينسى البداية، والأطواق تحجبني عن أن أرى أو أرى... أسائل الخطو: . يا خطوي الغريب إلى أين العبور وكلّ الماء جفّ، وأنهار الخليج بلا أسطورة تعتلي الأرواح فيها، بلا أهزوجة ترتوي من أقحوانة إبراهيم: أين ترى عشتار زهرتنا المقتولة الأخرى؟!... أسائل الخطو: . يا خطوي الغريب إلى أين العبور وكلّ الماء جفّ، وخلجان المحيط بلا همّ

عصي، بلا بدء، ولا مدن... خلجاننا قرفت من صمتنا... قرفت
من ألف عام بلا أهزوجة تعتلي الأرواح فينا، بلا أسطورة
ترتوي من أقحوانة إبراهيم؛ أين ترى عشتار زهرتنا المقتولة
الأخرى؟!... أمشي فتحملني كلّ الشوارع، خلف البحر، حيث
أرى كلّ المدائن تمضي في مجالها... أرى على وجع أهدابها
تحتويني مثلما يحتوي البحر العميق مسارات المضيق... أراها،
أكتوي مثل طوفان بلا ألق... أمشي فتحملني كلّ الشوارع
خلف البحر، حيث أرى كلّ المدن. كلّ العمر يحجبني، والوجد
يحضني، والموت يأتي بلا حزن لكي ننطفي... لا تمتلئ قبل
موتي، وانتظرنني صاحبي، يا كانفي... كي نرى أشياءنا مثلما كنّا
نراها، والمساعات التي أوقدت فينا ضرام الصّبابات الأخيرة؛
كي نعتاد موقفنا... نعتاد مقهى ليالينا الحزينة؛ والمذيع
نرجوه أن يعلوبنا مدنا؛ يقتصّ من قرف الأصوات، والضّحك
المسكوب في لحن عبّاد الرّصيف...

.١٦.

ماذا يقول الكرى إن رمته أبدا
ماذا أقول إذا امتدّت ضفافي يدا
ذكراي محرقة التّرتيل تجمععني
عصفورة شيّدت خلف العناق مدى
ماذا أقول... يقول الوهم منشدتي

في بارق الحلم أمست في الضَّبَاب سدى
ماذا أقول... هسيس الرِّيح أرَّقني
إذ يسكب الصَّمْت دمعاً في جفون النَّدى
والقلب، هذا الحنين المرَّأنشـره
عرائشاً من سهوم قد طواها الصَّدى
أنت الَّتِي علِّمتني الصَّمْت في شجن
حتَّى انسكبت ظلّالاً أنت فيها العدى
جيئِي وجيئِي وشاح اللَّيل من غسق
أرتدّ فيها وأردى بين زهر الرّدى
أنت الَّتِي إن سلاك القلب عن وجع
طربت حتَّى اشتكاني ظلّ ذاك المدى
يا من تزورين غبّاً شقّني حَزني
وجهبين من حدق ضيّعت فيها الهدى

حيناً أراك على وجه الجدار شذى
رسمت فيه طلولا من رنين الحدا
وحين يلفحني السَّهد الحرون قلى
أراك في وشوشات الشَّمع سرّاً بدا
سرّ عناقك والقنديل معبده
من نجمتين تناهى في المدى سرمداً
أخطو على قلقي في التَّيه معتمراً
جناح ثكلي فألفيت الفؤاد عدا
أخطو كريح عاتبت رغبي

عنها، ومنها تصابي الجفن إذ همدا
فأتي هديلا كستر الليل تحضنه
مشكاة قلبي، وويل القلب إن صمدا
بل فآتني من فراغ الصمت أغنية
قد عرّشت في الدجى سيلامن وردا
لن أشتكيك إذا ما الحلم شتتني
في صحوة البوح أشياعا ومحتشدا
كيف المتيم يشكورقية غمست
جمر الفؤاد على أحداقها صعدا
لك العتاب وعتبي لم تزل وهني
ما انجاب سدل على أكفانك بَرّدا

. ١٧.

سيدي،
هل تأتي معي،
نشرب الشاي،
نحتسي حلم من ملهم
سكون المقاهي...
ننأى إذا الليل .
لفّ النور المضيء،
وكان الخريف ترنيمة

من بياض هذا الدخان...
. هل سيدي:
تقبل الآن أن نهرب شوقا،
نأسى على مدن
باضت حرقة الحزن...
. هل سيدي...
تسايرني حيث نرتوي
دون خمر،
نرى مدائننا الأخرى .
ننتهي...
نشرب الشاي،
نحفظ الآي...
نمضي،
نعزف الناي
للمدائن،
للوهم المستبد،
ورايات كانت الوطن/
الملقى في زوايا المضيق...
. هل سيدي:
تقبل الآن أن نهرب شوقا؛
نأسى على مدن
باضت حرقة الحزن...
قالت كلّ الذي لم نقله؛

كانت تعدّ الفتوح...
كانت تشدّ المسوخ .
في نحرها...
تنتمي في بلاط جزّارها .
في دماء سجّانها .
في وشاح جارية جاريه...
ونشرب الشّاي،
نلقي البياض في شفّتيننا؛
آه بلادي تضيق،
وكلّ موت أراه .
لا بدّ أنّ الأيادي
تريده أن يضيق...
يا سيّدي،
بلدي كان أجمل من حدقي،
كان في شغافي،
وأجمل...
من كلّ شيء،
ومن كلّ سوسن العمر...
يا سيّدي،
سلام على روحنا،
سلام على موتنا،
على صمّتنا...
حيّ خطونا،

هذه أوطان الصِّبَا
ترتوي في ... طَلْنَا؛
هذه أوطاننا .
حيّها...
سلام على روحنا،
سلام على موتنا،
على صمتنا... هل؟!
هل سيّدي،
نشرب الشّاي،
نحتسي حلم من ملّهم
سكون المقاهي...
ننأى إذا اللّيل .
لفّ النّور المضيء؛
وكان الخريف ترنيمة
من بياض هذا الدّخان...

. ١٨ .

ملّك البيت فاحتوتك البحور
والقوافي سلت، براك العبور
والطلّول الدّوارس المشرعات
قف بها ساعة، قلاك السّفور

واذكر الندمان الألى شربوا من
طيب أنخاب في شذاها عبير

ومقاما بالروضتين أضاءت
حوله أشجان فهنّ قصور
والرياض الّتي تناهت خريرا
هزّها الشّوق فاعتراها المسير
واستبتها قصائد رحلت في
حدّها حرقة سقاها السّعير
وتبدّت في حلية لونها
لبدت آية كلاها البصير
واحتواك الأريج من جانبيها
فتباريح قلبك المفطور
فمتى يسنح اللّقاء وتنسى
أنّها خانة، فالعميد غفور
وتسمّهما مثلما كنت تيغبي
ربة القلب طاوعتها البحور
وارتضيت الممات لو فرضتها
طاعة لا يعلو عليها فتور
فمتى، قل متى تجيئين سرا
أوجهارا لا يستبيك عبور
فنعيد البحور للبيت بحرا

واحدا غوره الشذا والعطور
ونقيم الطلّول صرحا مشيدا
حافل الركن منتهاه أثير
ومقام الندمان فيه سرير
وجفان شرابها التطهير

. ١٩ .

... سيدي، عدنا للمتاه، وعدنا نعاقر الصمت، نشكو
عبورنا... نشتكى خطونا وهجس الرمال التي تقول: وداعا؛
دعوا صحارى القداديس، واخرجوا من جلود الحجاز، نجد،
وأوتاد طيء... حاتم مات، والليالي التي سهدته أن لها أن توارب
العلم الحاتمي، تغتالنا، أن تعيد للتار أحزانها، وهم الأساطير
للنبي المقتر: أن الأوان أن نودع أسرارنا، ونعطي النخيل
الشحيح ما قد أخذنا منه، ما أخذناه عشقا، ونعشق المدن
المهملات، نعشق شطآننا من الماء، نعطي الجفاف أفواهنا،
والنشيد للتيه، نحصي الخطى وأخطاءنا... هل حقيقة أثم
الحنن في أساطيرنا؟ هل حقيقة لم نكن في التجاد نجدا؟ وفي
رحلة المزامير ترنيمة لداود؟ لم ينسنا العشاء الأخير... الأخير،
تهوية الناصري، ذكرى الشعانين، بيت لحم، وذكرى الميلاد في
رحم النخل، والرّضاب المحلى بهينمات الإله الذي قضى. نفخ
الروح في لهة الصبي الأخير... هل حقيقة لم نكن في الهموم

شرقاً/ وشرقاً سيحمل الهمّ عنّا، وينزع التّيه منّا... يبشّر الظّمّاً
الأدميّ: في آخر التّيه جنّة الخلد، حور، ولحم طير، ظلال،
وما تشاء العيون الّتي تقمّصها الجوع... في مرامي المتاهات
سوسن ورياحين، دارة للنّشامى، وزنجبيل وكافور، متعة،
وسلام... حقيقة سوف نمضي، يا سيّدي!!... سيّدي، عدنا
للمتاه، وعدنا نعاقر الصّمت، نشكو عبورنا... نشتكى خطونا
وهجس الرّمال الّتي تقول: وداعاً؛ دعوا صحارى القداديس،
واخرجوا من جلود الحجاز؛ فلتخرجوا من هدى مناراتنا، من
ضياء أوطاننا؛ واخرجوا بلا علة من مداد أسمائنا، واخرجوا
من الماء للماء، للمتاه الأخير... يا أيّها الصّنم الخارجيّ، يا من
يراني، فينزع الآي من مقلتيّ، يحسبني كافراً، أنا لم أدنّسك، لم
أرفي حدود الكلام إلاّ الكلام... يا أيّها الصّنم الخارجيّ، أرجوك
لا تحتكم لسيف سهوي عليّ، لا تحتكم للتّعصّب الخارجيّ
الّذي برانا جميعاً... وهات أغصانك الخضر، قلبك الرّافضيّ
النقيّ، هات حماماتك الميامين، سيفاً نقيم فيه الحدود... يا
سيّدي، سيّدي، عدنا للمتاه، وعدنا نعاقر الصّمت، نشكو
عبورنا... نشتكى خطونا وهجس الرّمال الّتي تقول: وداعاً؛
دعوا صحارى القداديس، واخرجوا من جلود الحجاز، نجد،
أوتاد طيء... حاتم مات، والليالي الّتي سهّدتها أن لها أن توارب
العلم الحاتميّ، تغتالنا، أن تعيد للنّار أحزانها، وهمّ الأساطير
للنّبّي المقتر...

تعبت...
لم أنتبه لمن سبق الخيل،
ووارى خطاه،
هدده المساء .
أعطى سناه للقلق المرتجى،
وخبّأني قبل أن أراه
وأعطيه اسم قافيتي،
والبحور،
والزّمن الخارجي...
انتشى الحزن فيّ،
وانتسب الصّمت للغات جميعا،
وسما في يديّ،
حاورني...
كان طيفه شفقاً،
آية لكلّ حنين،
وغيمة تتفادى السّقوط .
تستبق الطلّ،
لا تبيح مرور البروق سوسنة زائفه:
وحاورني .
حاول السّديم ملياً،
ومرّ في أفقي

رحلة بلا ألق،
كي يشدّ كلّ حنيني إلى مراقبه
يسكب المسافة في راحتي...
حاورني،
فانطفأت،
لملمني صوت من نأت،
وسلّنتني...
فصحت:
. انتفض الآن،
روّ سوسنها من أريج مكمّنها:
واحتفل بلا ندم بالزّفاف
يسكنها روضها،
وحضن غريم...
فتبّت القبل الزّائفه...
وتبّ حصاريمدّ أحرفه
في تخوم أوردتي،
يرتمي على قلقي كالحصار،
يعتمد الضّلع.
تستحيل ضلوعي متاهة،
سفرا للوداع،
مقصلة للحروف،
محرقة للعبور.
سيفا بصوت أخير...

انتشى الحزن فيّ،
وانتسب الصّمت للغات جميعا،
وسما في يديّ،
حاورني:
. هل يضيق بحرك،
بيت بلا تماثل،
صوت هو الصّدى؟
فطفا هاجسي،
وقلت:
. بلى، قد يضيق بحري،
بيت بلا تماثل،
صوت هو الصّدى...
تعبت...
لم أنتبه لمن سبق الخيل،
ووارى خطاه،
هدده المساء.
أعطى سناه للقلق المرتجى،
وخبّأني قبل أن أراه
وأعطيه اسم قافيتي،
والبحور،
والزّمن الخارجيّ...

تأسّ كلّ القلوب تمتحن
وأنت فرد مقدوره المحن
مدمى فؤاد قليله جزع
لو يحتذيه الورى لما سكنوا
والحزن أدماك دونما سبب
سوى هواها، فحبّها فتن
واصبر لعلّ النوى إذا سكنت
جروحه فالأشجان تحتجن
واسل عن الحبّ لا تبال به
حتى إذا دافعتك لاتهمن
فإن برتك الخطوب فانتفضت
فيك التّباريح ملؤها الإحن
فقف بأطلالها وروضتها
عفت عليها الدهور والسّنن
وناجها ساعة بلا كلف
واسكب هواها الذي له سنن
على رياض لها ومونقة
ذات غصون يزينها فنن
وامض حثيثا إلى مرابعها
واستذكر الدّار أهلها كمنوا

وقل سلام الأحباب من قدم
على حبيب ملاذه الزمــــن

. ٢٢ .

عيناك دوما تضيقان،
تحجمان مليًا .
خلف الصّحارى،
فتمضي...
برأسك المشرئبّ الحدود،
والهمسات الّتي تجيئك /
في صحوك . الظلّ،
كانكسار المسافات،
كانعكاسات المساءات في خفايك،
كالصّمت،
كالمضيق الّذي لا يضيق...!
من ألف صيف وعيناك،
في زوايا الرّصيف،
بين انكفاء القناديل .
تحجمان مليًا،
كي يزهر البحر في مقلتيك وردا،
وكي تصطفيك مملكة الأغنيات،

كي تقتفيك الشواطئ البعيد:
نجما؛

من ألف وجد وعيناك،
لويطول المدى تبحران،
لويتهجى المساء خطوالمساء .
لويرحل العابرون .
لوتقتفي أثري...
تغرقان...!!

. ٢٣ .

ما دام للناس كـرّه
والعين تحمل عبـره
بحيها غير مرّه
صبا بتي من مسـره
جـرى على حين غـره
ككوكب في المـجرّه
نسيت شيخ المعـره
تؤوب في العـمر مرّه
يميط في القـرب سرّه
هوت فلاقت مـضـره
إحاطة الرّسم مرّه

سقيت رسم الأحبّه
والقلب ينزف عدّه
ذكرت ليلي وإنّي
نثرت ثمّ جمعت
وذبت مثل جليد
وضعت من فرط وجدي
وبحت باسمك حتّى
فآه من بعض ليلي
وأه من كلّ رسم
وأه، ويل لنفسـي
فهل يكون جزائي

وذكر ليلى مساء ومرة إثر مرره
فداك ليلى فداك فداك يا خير حره
فداك كلّ تلامي وطار في ثمّ ذره
تكون من بحر قلبي وذرة ثمّ ذره

. ٢٤ .

تسايرنا الخطوات،
تطالعنا البسمات،
وحلم يحطّ على راحة الكفّ؛
هل يستبيننا الجنوب؟
ورائحة القمح بين انكفاء البيادر؟
هل يرتدي زمن الاخضرار المواجه؟
وهل .
عندما تتوتّر بوابة القلب .
يجثو العراق على نخلة في العراق؟
وتغفو بأحزان بابل كلّ الصّفات؟
متى السّكرة المشتهاة؟
متى همسة في الجليل تتوق
لذكرى؟
وذكرى تتوق لبيّارة في الجليل؟
متى . يا إلهي . أحنّ،

كما كلّ من حَبَّ اللّيل في رحله
وهويديني الصّحارى من الماء .
للماء ،
في الماء خمر التّدامى؟!
إلهي .
نشيدي يعمّد تفّاحة الرّوح ،
والقلق الدّائريّ يفتّش عن سمرة الأحرف المستعاره .
بحثت عن الرّورق المتهدّل بين الشّواطئ ،
عن سوسنه .
عن مدن هربوها بعيدا ،
وعن ساريه
تقتفيني ،
لأعرف أنّ المحيّن ،
كلّ المحيّن ، عفرّوا آخر الكلمات ،
وقد نذروني ببيتين من عشقهم:
«رَبِّمَا قد تموت المدائن خلف الخطى... ربّما ،
ويعيش المحبّون من نظرة واحده...!»
كم عددنا الخطى:
واحده ،
اثنتان ،
ثلاثون حظّا رمانى ؛
وكم عدّدتني الخطى:
رحلة ،

رحلتان،
ثلاثون سيفاً أصاب القناع،
ثمانون رمحاً يقسم بهو الخليج على القادمين،
مئات المدائن تندب خلفي ضياع النّخيل،
وتهرب من سلّة المهملات...!
كفى. يا حبيبي .
كفى.
ولنكفكف قناديل حبّ بنيناها
من تهننا في المحال.
كفى .
لست ظلاً.
كفى .
لست خلاً.
كفى .
لست إلاّ،
ولا، لن أكون سوى غفوة العير تحت الرّحال...!!
وحيدان يعلكنا الصّمت؛
قل ما تشاء...
دخان وشارع،
ولا شيء يحجب رؤيا المضائق؛
قل ما تشاء...
طرحت رماد حزيران خلفي،
جرعت حنين المدينة في هرب لا يعود.

فقل، يا حبيبي، متى يفتح الله كلَّ السَّماء؟
وحيدان،

لا أرض نرتاح فيها،
ولا سمرة تدعينا إليها لكي ننتسب،
لا خريف على شاطئ الرَّمْل،
لا مطر في بريد الوداع.
سنرتاح...!

هلاً انسلخت من الصِّمْت؟
قل أيّ شيء:

.تضجّ بحمرة منفاك،
.اقتل مرديك،
.اهج المدينة.

قل أيّ شيء،

فإني سنمت جمال المنافي /

سنمت الصِّباح وطعم الغناء!

حبيبي:

.لماذا يطاردنا التّوت؟

.لماذا نهرب سرّاً بقايا المدائن،

والله يقتصّ من جرأة الموت /

من سفحونا دما على أعين الماء؟

قل: .أيّ إثم جنته يدانا،

ومن .حين أبعدنا التّيّه .

يا تمهنا المستحيل:

يخبي في كل أروقة الليل
أولى امتزاج الحروف وشكل الزمان؟
سننسى .

نعم .
سنحمل في الخوف حزن الرصيف .
نعم .
سنحبل غار المدينة في البحر .
كلاً .

نحاور؛ نحاور نفسينا:
يا صمت بابل كن نجمة:
يا بهو قرطاج مدّ انسكاب الرّحيق،
ويا ياطر الشّعربعثر خريف القوافي،
لكي يزهر القلب في سلّة الأبحوان .
سننسى .

استرح، يا حبيبي، على خدّ ظلي:
ودع للزمان حدود الزمان،
ودع للمكان انطفاء المكان،
وهيّا إلى حيث يلتحف النّخل شكل الضّياع،
ويحترف الليل جوع الشّوارع،
كي ننتهي .
رحلة/
وكي ننتهي .
غفوة/

وكي ننتهي .
بين ضلع الزّمان /
وبحر المكان!

. ٢٥ .

هنا، مرّة ثانية؛

تولد المدن السّراب، ويرحل ملح البساتين بين السّماء
وبيني؛ أرى من بعيد مزامير داود ترقص في بيدر التّوت، قرطاج
تعلو وتعلو، وسيفا يهاجم ناعورة الماء. هذي سفائن عوليس
تحجب بهو البلاط... بعيدا على شاطئ الحزن. كم سنة وشح
الحبّ مرجانة البحر، ومن ذا يعلّق متراس بابل خلف المحيط،
ومن غيرك الآن يحتسي خمرة المهرجان، حبيبي. ستولد في
جنّة الله، من فرح القادمين وهففة القلب في حوص النّخل،
إلياذة السّفر المتعتق شوقا وتين. وتولد أسماؤك المترعات
بأقباة كلّ القصائد؛ طوبى لبوابة الطّور، طوبى لمن دقّاته
حروف التّباريح، من ألف عام، بلغز المعاني، فلم يكثر
للذين يدسّون أحلامهم رقية بوشيش الشّموع وسرّ الجراب.
متى سوف تأتي، ويأتيك من هرب المتعبين سباتي. حبيبي،
متى سوف تهرب من كلّ حلم، ومن كلّ عمر، ومن كلّ نجد،
ومن كلّ فارس... غبار مسافات حبّ بنيناها بالشّمع، سحر نثار
الورود بباحات كلّ الغزل. إذا متّ قبلي. وإنّ متّ بعدك: أمل

للضريح نواقيس بلبيس، واكتب نشيد النجوم على الشاهدة:
«سوف يحرقنا الليل مثل القمر،
سوف يأتي الخريف بأحزان أيلول،
يأتي التدامى، وكأس التبيد وبعض من الذكريات.»
هنا، مرة ثانية،

لا تقف في ممر الخرائط، لا تحترف لعبة الاختفاء، وهرب
خطاك بصنارة القلب. ارم من الشارع المستطيل مذايح نيرون
كي يصطلي بضياح المدينة أهل المدينة. هدهد ليالي المريدين،
واكتب عن الجوع كي لا تجوع. سيدخل من فوهة القلب سرب
النوارس، قد يلتقي ساحل التيه نجما أخيرا وبعض الحروف...
بلى، تستحيل القصيدة يختا يجذف في القلب، يصحب سر
النخيل على دقة الروح، بين اغتراب الشوارع... عوليس! من
قرأ البحر واحترف الهرب السامري... خوار... خوار. ولا شيء
في مدن الملح. طروادة النار أعطت حصان الجزيرة كل المفاتيح
وامتدت الأغنيات على سحنة الآلهة. وحدك، الآن، عوليس:
إسفنجة، دارة وامتداد. تليك الأصائل، يشربك الماء مثل
القطا... شاطئ يرتخي. وحدك، الآن، عوليس: شرنقة وهديل
يمازجه الامتلاء!

بلى... يا امتداد المسارات، يا أفقا ليلكيا، ويا آخر الليل في
وبدء الكلام. بلى... يا رجوعي إلى آخر الظل، يا نسف جرحي
لجرحي، ويا آخر الأنبياء، ويا واهب الانتماء. بلى... مدن
المهرجان المهرب/ خارطة جمعت مبعديها من النشوة المحرقة.
أه... أه، لنبعد قصاص النشيد، ونسكب بقايا الدموع،

فأرض البنفسج . هذا الشتاء المفاجئ . تستلّ عمق الشوارع/
تهرب بين الخطى . آه من عوسج البحر / أرض البنفسج . هذا
السراب . يبدها الفجر فوق المضائق / أرض البنفسج حلم
الحقبة بين الدفاتر والسفر المستمرّ؛ وطعم المحيطات مرّ،
وهمس التّباريح مرّ، ولقياك يا جوع روجي قرّوصرّ . وآه...!
بلى: أوّل البذر / ما تشتهيّه بعمق وما يشتهيّك؛ وما يعتربك
طويلا لتؤمن أنّ انقسام الخليج توحدّ روحين في جسدين ،
وأنّ انسياب الحنين جنون ، وأنا مسافات تحتدّ / تمتدّ / ينكسر
العمق فيها وتأتي لتمضي ، فلا مدن التّوت برّ ولا أنت أنت .
تموّج على نغم العود ، شيّد على دمي المتخترّ بهو البلاط وسور
الحديقه . وآه ، لكم ، إن سألت ، تألمت مثل الخزامى ؛ فهات
مدامك ، هات انسكاب الموشح في شفّتين : أريد اليماما... أريد
الهديل المرصّع بين التّثامي على خانة في المقام ، أريد أترجم ما
لا يترجم ، فهات المدام ، أريد اليماما...!

أشرببنان لكأس المدام
تعانق صدى الوتر المستهام
وجمّع فؤادك حيث انتهيت
هنا، يا حبيبي، يماط اللثام
فإن صار فيك الهوى مستطابا
وأرّقت الصّمت حين استقام
تمهّل على مترعات الكؤوس
وهات: عقيقا صبا أوهزام

(المتلوي في: ٢٠٠١.١٩٩٩)

سفر الآلام والتباريح
أو
(رحلة بحيرى إلى الحجاز)

* الإهداء *

إلى التي ولدت هذه القصائد قبلها، ثم ولدت،
بعد ذلك، فكانت هذه القصائد لها...!!
إلى الأنسة التي غدت سيّدة، أهدي هذا الديوان
تميمة تحفظها من عيني وعيون الآخرين...!!

الإمضاء: ص. شعباني

صور في: ٢٠٠٣.٥.١٣

* تصدير *

أمسك في اللّيل بشمعه
أبحث عن حرف...
أمسكه...
أمسك في اللّيل بحرف
يعطي ظلامي... (تلك
الشمعه)

(مقام...)

الذنب... عقدة الذنب... الإحساس بالضّالة...
الانتفاء... الرّغبة في فعل شيء ما... القتل... رؤية
منظر الدّم... تخضيب الأصابع والضّحك حدّ
الهستيريا... أنا شمشون... أنا نيرون... أنا البحر
الهادر والموج... أنا التّار... أفّ للخطى المتعثّرة!!
للشّارع الطّويل الذي أودّ للحظة لو يندثر، لو
يتلاشى في غمضة عين، ولكنّه ابن ال... لا
يتورّع عن المشاكسة. يطول بقدر الرّغبة في طيّه
وتجاوزه، يمتدّ مع الشّرايين والعروق، ينغل في
العظم، ويطبّع المشاعر التّافرة والأحاسيس
المشوّومة برائحة إسفلته المذاب، وقسوة
حصواته النّاتئة...

(غير مؤرّخ)

(احتباس)

١

مازلت أبحث عن كلام لم يقله الآخرون،
مازلت أبحث في فراغ الرّوح عن حرف
الحروف،
وأفرغ الألفاظ من ماض عريق في انتفاء
الأقنعه...
مازلت أشعر أنّي لا فرق بيني /
والجميع.

لا فرق غير الموت يثقلني،
لا فرق غير الموت يرفعني،
ولكن لا ضجيج لحرفه الرّجراج
بل لا هسيس لنبضه .
إنّني أنا أشتقّ من روعي كلاما،
يا كلامي لا تكن مثل الكلام /
يا أحرفي ردّي على حجم المنام
وهربي كلّ المعاني،

دمّري خوف القصائد،
مزّقيها كلّها /
أغراض هذا الشّعـر...

٢

مازلت أبحث عن كلام لم يقله الآخرون،
مازلت أبحث عن نشيدي في فراغ الرّوح؛
فاسلك . سيّدي . في كلّ شبر من سناها،
روّني من حرفها المسكوب في القلب الغريق
ومدّني شبرا أخيرا يستكين للحظة
كي يعتلي شيئا فشيئا كلّ أحرفها
إلى مغزى الكلام //
إلى بعض التّنام...!!!

(غير مؤرّخ)

(صرخة)

أيّ صوت آخر -
حين أراك -
يستبيني...
أيّ حرف هارب...!!؟

(غير مؤرّخة)

(قدر)

يتبعني خطوي كظلي -
ينتهي خطوي /
ولا تنأى الظلال.

(غير مؤرخ)

(ليتني...)

ليتني يا بحر أخطو خطوة نحو الأمام،
ليتني يا بحر أغدو مثقلا مثل الغمام،
ليتني أمتدّ بين الموج .

أغدو راحة للظلّ /

تحجّبي الرّحال...

ليتني أخفي النهار براحتي،

وبراحتي أعطي الضياء سواده

فتهاجر الأيام .

ينسدل الستار،

ويحجم الخطو الضليل

خلف أنات الرمال

(غير مؤرّخة)

(مونولوج)

الرّوح تثقلها ذنوبي:

/ أحاول أن أكتب...

أتعسّف على الصّمت الّذي لا يريد أن يفصح بداخلي...
أشعر برغبة قاتلة في الكلام، ليس أيّ كلام، ولكن بحميّا
صرخة أحسّها تنزرع كمنار متأجّجة في كياني... وددت لو أنّي
هناك، بعيدا، حيث غرفتي الصّغيرة بذلك البلد القصيّ،
حيث عالمي الصّغير المحاصر بالليل وعمّة السّكون، فأخلو
إلى الأصوات الأثيرة الّتي تطالعني بنبراتها الحميمة من بين
دقّات تلك الكتب الّتي ترتاح على تلك الأرفف الحجريّة...
تمرّد أيّها القلب، حطّم قيود الخوف بداخلك، وانتفض، قل
أيّ شيء ، المهمّ أن لاتظلّ صامتا، صمتك يقتلني، يشعرني
بالإحباط والغثيان، قل حتّى لو كانت الكلمات الّتي ستقولها
مجرّد غمغمات بائسة بلا عجيح ولا معنى، ارحمني فجدب
الرّوح أكثر من أن أحتمله، أنا الضّالّع في لعنة الهروب، وسط
هذه الحدود الّتي لا تنضبط بالجهات، تشظّ، تمرّد على كلّ
مفاتيحي، ومرايي الكامدة، وستائري السّميكة، وأبوابي
الموصدة، وخيباتي المتواصلة...

(حرّان بكّلي جذوتها!
حرّان بكّلي نارها وسعارها!
بكّلي قلبها وكلامها الشّفيف الّهيفاف!
حرّان بكّلي كلّها،
فوا رحمتا بهذا الجسد الّذي لا يسع كلّ هذا
الكلكل...)
الكلّ!!)

(غير مؤرّخ)

(حالة عشق)

هوى مستبدّ في الفؤاد وفي الحشا
وفي أضلعي قد أرقتني ظنونه
وكنت خليّ البال لم أسهر اللّيل
الطّويل وما أخنت عليّ عيونه
وما سهّدتني الذّكريات إذا انطوت
بقلبي وما خلت الطّبّاء تخونه
لقد شتّتت حبل التّمامي لواحظ
رمتني بسهم منكرات سمومه
وأودت بصبري عند كلّ ملامّة
تقاطيع خدّ جمّلته فنونه

(غير مؤرّخة)

(لوعة)

هذه كأسى نديمى إننى أتـ
رعتها فاشرب معى كأسى اختصاماً
وتعتب بدلاً عنى إليها
إنها زادتنى سهداً وضراماً
وشكتنى وهى تدري أنها أو
دت بقلبي بعد ما كان التئاماً
ولسانى يشتهى لوبادلتـه
كرماً . بعض حديث أو سلاماً
قد تهجى اسمها سرّاً ولكن
يتأبى الاسم إذ ينوي الكلاماً
فاسقني يا صاح من أكنافها خمـ
را تناهت فى ثناياي انهزاماً
واسقني لا تسأل الكأس التى أعـ
طيتني كانت قروحاً أو غراماً
ليتها كانت توافى مرةً وا
حدة فى الخمر برقاً أو غماماً
يكفني من حسنها الطيف الذى لو
جاوبته الروح رمزاً لاستقاماً

فاسقني، هات التي كانت دمي ثم
(م) ملاذي والهوى ثم الختما
يا نديمي روني في كل عظم
من وعود تحفني بالوصل عاما
ووعيد في سنين إتها الشرع
الذي يستن حلا أو حراما
فاسقني حتى أرى ما لا أرى كما
ن سرايا أو شرايا أو مداما
ثم لا تبق شكاة بفؤادي
للتي صدت وسامتني انعداما
إتها لو أوردتني كل صعب
وورت ناري وزادتها اضطراما
ستظل الحب والحب الذي لو
غاض يوما فاض دهرا مستهاما
ستظل الآية الكبرى إذا رت
لها قرآن بوح فهو يعرفني انتظاما

(صور/ صباح يوم الخميس)

- ٢٠٠١.١١.٢٨ -

(أمنيّة)

أعطني بيتا
ومفتاحا لهذا البيت...
ساعدني قليلا كي أغامر أن أنام!

(غير مؤرّخة)

(شطح)

مدد مدد، شيخي أغث! روجي تنازع رغبتي،
شيخي أغث! ودمي تضرّج بالصّراخ . تلبّست
جسدي لغاه... إني جريح كلّما ضمّدت جرحا
مزّقنتي نظرة عجلي، فيا شيخي أغث، مدد مدد!
الروح تخبو. كنت أعرف أنّي بيدي أذري عوسجا
في خصرها، ومن الضّجيج أزخرف لعنتي . وأنثى
اللّعنات كي أسدّد . أشتفي من سرّها وسموّها،
شيخي أغث، مدد مدد!!!

(غير مؤرّخ)

(وداعاً أرض السّواد)

ضجّت بأعماق الفرات مياهاه
من يوم ما التأم الخلاف بشطّاه
وتسرّبت كلّ الجراح بمائاه
فاستنبتت شوكة بطمي ضفاه
وعلا النّشيج فضاغت أمواجه
حرّ النّشيج فلا مزيد لسكبه
وشكوت، لا الشّكوى تعيد جدائلا
للنّخل في غبّ الأصيل بأرضه
وسلوت لكن تنظفي سلواي إذ
يهمي السّكون على وشاح قبابه
هذا العراق تفتّحت القروح بقلبه
واستأصلت شكواه همسة نبضه
وغدا وطاء بعد وطى نعاله
وشي الحرير يصوغه من بذله
هذا العراق لكم به من فرحة
فاضت بشطيّه أزاهروشيّه
ثمّ اكتسى الزّهارة فارتوا
ء يستبي حور الجنان يهدبّه
هذا العراق لكم أعرقت في جنباته

من مغرب، واليوم حين طلوعه
أفتضّ من نهريه سمرة نسبتني
وأريق من دمي السكوب بأصله
حتّى يقال عراقه في عرقه
كانت دماه جدا ولا في نهـره
ويقال لو كانت حرائق تنطفـي
لا تنطفـي فيه حرائق حبّه
يا قلب بعض الصّمت تسكبه ضنى
هذا العراق فكن شهادة عصره
يا قلب ما للدّمع يحجّم معرضا
كن لا غضاضة ميّتا في قبره

(صور في: ١٧.١١.٢٠٠٠)

(مقام العشق)

من حرّ الشُّوق بعينها، عمّد ترتيل الصّمت
بقلبي، يا ربّ الصّمت العلويّ الأدنى، حرّقني في
أكناف سناها وسلواها، وانثر. يا ربّ الشعري .
على ضلعي من نار لظاها، حميّاها أذقني لأعرف
أوار الشكوى، وأعذرني الحبّ كلّ العشاق، ومن
ذاقوا صبايات الفتنة والصّبوة: تختال أمامي،
تخطر كالمهترشب، ببنان تسكب من حرّ كياني،
عيناها الماء الضّالّع في فوضى الكلمات، قراها
الجوع الدّائم، والنّظرة تلو النّظرة لا تدعو،
وتقتل بالرّمش المتهدّل، لا تدعو وتحيي بوعد
الوصل، هي الأولى وأخراي المنذورة من طعم
الفصح ولون الخمر وبأساء الجسد المتلفّع
بالشّوك وورد الشعراء، هي الهجعة والهجدة،
ما يعرفو دمائي، ويجيش بخترفة الأحلام، أراها
بحاءاتي الخمسين وازدادت عشرا، وباءاتي
العشرين وانثالت عسرا، من بعد الإعسار سوار،
وإساري عوار ودوار، إعساري يداها وسناها،
وبريق محيّاها... إعساري بلاياها... رباها وسهوب
مداها... وإعساري أستدعي خطاها، وأراقب

في اللَّيْلِ بَرِيقَ اللَّمَعِ بِأَلْأَهِاءِ، فَلَا فَمَها الخَمْرِيّ،
لَمَيَّاهَا تَقْيِينِي فَأَوْقَى حَرْفِها وَحَرَّاهَا، وَلَا اللَّيْلِ
المَسْدُولِ المَكْحُولِ يَفْرَشُنِي وَطَءَها، يَكْسُونِي كَمَا
اللَّحْمِ المَتْرَعِ يَكْسُو عِظَامَ الخَلْقِ، بَعِيدِ الإِترابِ،
وَمَجِّ النُّطْفَةِ فِي أَصْلِ الظَّلَمَاتِ السَّرِيَّةِ، ثُمَّ
الإِنْشاءِ مِنَ المَضْغَةِ، حَتَّى العَمْرِ المَرذُولِ يُوافِي،
أَوْ قَطَعَ للعَمْرِ بِمَحْكَمِ آيَاتِ الهَلْكَه، وَهِيَ شَقَائِي
وَدَوَائِي، وَهِيَ الدَّاءُ المَسْتَأْصِلُ مِنَ شَجَرِ الرِّقُومِ،
المَزْرُوعِ بِعَمْقِ خَوَائِي، وَهِيَ الجُلُوءَةُ وَالحَلْكَةُ، وَهِيَ
الأَسْمَاءُ بِإِلاءِ التَّعْرِيفِ جَمِيعاً، وَهِيَ الإِنْكارُ
وَكَلَّ التَّنْكِيرِ، وَهِيَ إِذَا قَمْتَ أَرَاهَا، إِذَا نَمْتِ
أَرَاهَا، إِذَا صَلَّيْتَ أَرَى الأَيَّاتِ تَعْبِرُ فَاها، أَرَاهَا
وَأَرَاهَا، تَرَكَعَ تَسْجُدَ، يَا رَبِّ كَأَنِّي أَنَا، فَاغْفِرْ، يَا
رَبِّ لِي وَلِها، جَرَعَنِي هِواها، واقتلني إِذا مَتَّ شَهِيدِ
حِماها، وانثُرْ. يا رَبِّ الشَّعْرَى . على ضِلْعِي مِنَ نارِ
لِظَهاها، حَمِيَّاهَا أَذْقَنِي لأَعْرِفَ سَرَ الخَوْفِ وَأَلامِ
الشَّعْراءِ!!!!!!

(صور في: ٢٥. ١١. ٢٠٠٠) .

- ليلية الأحد -

(مقام في الحيرة والطلب)

تغمرنى . السّاعة . أشيائي بحجمي إذ أراني
ممكنا؛ لا حرف للوصف، ولا صوت يقول البوح
عكسا... لا اختبار... لا اختيار... كلّ شيء ممكن؛
حتّى الشّعور عارض... تمحوه أطيف التّهار...
الخوف لا يكفي . إلهي! فامنح القلب الحزين
شوقه، واعطه، مجّده بنور، وانفض الغبراء
عنه، سمّه من فيضك العلويّ أسماء، واسقه
فصل الخطاب... الحرف لا يكفي، وقلبي ضالع
في التّيه، لا تكفي الحروف كلّها... ماذا أسمّي
هدمها؟ ماذا أسمّي شوقها... شوقي لها؟! كيف
أسمّي همسها... ترنيمها... ماذا أسمّي نزعها
قلبي، ولثمي ريقها... تغريدها...؟! كلّ الحروف
لعنة... كلّ الكلام، واللّغه!! يا ربّ، أنسى إذ أراها
أنّ لي قلبا... وحرقا واحدا... وأنّ لي حدّا، وشوقا
واحدا... أنسى إلهي أنّي من طين هذي الأرض،
من أعطافها الدّنيا، ومن ماء مهين آسن... لا ذنب
لي . يا ربّ . إلّا أنّي أحببتها؛ لكنني . يا ربّ . لا أدري
لأيّ اسم وصفها... لأيّ نعت سحرها... لا ذنب لي .
يا ربّ . إلّا أنّي عرابها وسرابها... لا ذنب يكفي ذنبا

الفتان؛ فاعطني حرف الحروف كي أسمي هديها
شيئا جديدا... شيئا بحجم الأخيله... كي أعتلي
أشواقها مملكة، كلّ الهروب خلفها شوق إلى
المجيء واحتفال بانشطار الأزمنه... صوتي هيوئيّ
العجيج، مثل بالرع، مقصوص الشّفه!! ما
ضربّ لو تسمي الحروف نغمة الكون، فتبني من
سقوطي كلّ إمكان السكون، تعتلي في سمّ روحي
عجزها للقول... صه!! صمتا لئلا... لو... وإني...
آه... خوئي... والسقوط: هذه حمى العذاب،
أن ترى بحرا، فيأتي الماء رقراقا، وتمتصّ المياه
شوقك الظّامي... تروم الكشف والإفصاح، لكن
لا ضجيج غير أشتات من الحرف الرّكيك... هذه
حمّاي؛ كيف أشتفي من لغة تضيق بالصّمت
وأحرفها العتيقة... كيف يمسي صوتها نايا...
ووجهها مرايا في بياض الياسمين... والشّفه:
خطين من طيب يثير القلب... يأتيني بصمت
الكون... يعطيني الخفايا... والمرايا... وانشطار
الأزمنه... ثمّ اللّغه!!

(صور في: ٦.٥.١.٢٠٠١)

(بين صحراء وبحر)

أتيك من ظمأ الصَّحارى الموحشات
يا أيها البحر العصيِّ الأغنيات
أتيك من قلق السَّنين المجدبات
فامنح من الشَّجو الخفيِّ الهينمات
كلَّ انسكاب من خموريِّ الصَّاديات
*** **

يا أيها البحر لماذا الصَّمت يعلكني فأغفو
كالوميض المؤتلق
والموج من حولي يطيل الهمس، يا أيها
الصَّمت استفق
والماء. هذا الماء
ينشر راحه ويترجم
الغسق السيِّ
إلى أرق
إتي أروم الحرف، أمتصَّ الرِّحيق فتهرب
الكلمات منيَّ
كالشَّفق
وأحاول البدء العصيِّ، أداور اللَّحظات، لكن

لا بريق ولا ألق
وأنا الوحيد على طريق البحر لا
بحريوافيني ولا شكوى
الملاح
أشتاق لو أحيأ وتأسرني لحاظ مراجل
بنواعس
الطّرف الفصح
أشتاق لو شفّ الفؤاد فما درت
أعضاء جسمي أتني
الخفق المباح
يا ليت روجي تعتلي رمم العظا
م، وتثنني في
الحبّ شجوا مستباح
حتّى كأنّ الكون قصبة عاشق
أو صفحة أخرى
يخلدها السّلاح

*** **

يا بحر لو ترضى أسميك الجراح
أعطيك من روجي وتعطيني السّكون
ونخطّ. يا بحر. بدايات الشّجون
أعطيك، لا أبغي سوى القرب المباح

*** **

يا بحر لا
تقس على
صبّ نأى
فيك انتهى
منك ابتدا
سحر الكلام
نظم الغرام
درًا وياقوت
وتلا من /
الأي الغموض
وعقر الوجه /
الحيّ -
بذل الدّموع
لا كالشّموع
لكن بذلّ الياسمين
وهمسة الرّيحان
أسلمت العنان
وكتبت . يا بحر .
على رقّ الغرام: «
للّيل ألقى بهجتي
في اللّيل أسكب حيرتي
للموج آتي من تلافيف الفيافي
للرّمال -

وللنَّقاب الأحمَر الخمريّ
للصَّمت المجافي .
للَّيل آتي،
ما لهذا اللَّيل حائر!!»

*** **

بحران بحري: _ لو أشاء سكبت بحرا في البحور
فما انتهى، وفرشت بحرا آخرا، كانت بحاري كلَّها
صغرى النَّقاط إذا انطوت في جوفه الغافي،
وبحري ملتقى كلِّ البحار، ومجمع التَّهين _ مرج
الجنَّتين، فواكه، حور، وتوت، والهوى إبريق
خميرتوي منه الظَّماء إلى شرابي.

*** **

آتيك أحمله على كفي
اضطرابي
يا رسول البوح، يا سرَّ
انتسابي
فانتشلي، لا تراع (ي) بالذي كان
اكتئابي
واصطف (ي) من كلِّ قلبي همَّه ثمَّ
اغترابي
إنني آمنت يا بحر بأنَّ الموج

سابي
فاصطف في اغترابي
وانتشل مني
اكتنابي
ثمّ انتم _ يا بحر:
_ أنت
أم
أنا؟!!

(صور في: ٢٠٠٠.١١.٢٠)

(إهداء أوّل لصور)

ما وراء البحر غير البحر
ما ورائي غير بحري...
والبحور كلّها...
هذي البحور كلّها /
هذي البحور جميعها:
بطميمها /
محيطها
من أطلس الدّنيا _ محيطها
من نهرها وخليجها
من أجمل ومجمل
من أحمر ومسودّ
من مالح
كلّ البحور... جميعها
بحر لصور...!!

(صور في: ٢٢.١٠.٢٠٠٠)

(إهداء ثانٍ لصور)

القلب يعلّكه الضّجيج
والريّح تسكنه من الوريد إلى الوريد
والحزن...
لون الحزن عقّر كاحليه،
وغمّست سفن الحنين جراحه /
في اليمّ:
وانثالت حواليه الجفون...
كلّ الجفون اليوم تملأها الدّماء _
كلّ الدّماء اليوم مضغة ساعدين:
مهدّلين _
محطّمين
كلّ الجفون اليوم ترغب أن تبيع دموعها _
دمعا
ودمعا يانعا
كلّ الجفون اليوم
ترغب أن تبيع دموعها دمعا _
ولكن، خلفها القلب وقلبي،
والجفون ترقرت سمّا كدمع يانع _
والقلب خلفي مخلفي،

والقلب حولي قاتلي،
والقلب كلّي مانحي:
بينما الجفن انكسار/
والهمّ حدّ واحتضار _
يا قلب:
يا... كن مانحي رمزا
لدمع قادم...!
يا سمّ:
يا... كن نارا /
ونارا...!!
كن ما رغبت ببعض
دمع قادم _
تلقيه بين مسالكي _
لكن بشرط واحد:
_ أن تعتريني لحظة
سهم انفجار!!
أن تنتمي سرّاً لبعض
مخاوفي،
وتقلّد القلب المضمخ
_ كلّه _ بعض اعتبار!!!

(صور في: ٢٣.١٠.٢٠٠٠)

(الألام والتّباريح)

١

مدن تضيق بساكنيها _
ضاقّت المدن العتيقة بي،
وضاقت...
فانتضتني من خواطرها _
تلتني في خطاب عابر،
لم ترحم العمر الذي قضّيته فيها،
ولم ترحم قوافيها،
كأنّي لم أصغ يوماً مراثيها،
ولم أزرع حروف مدائحي
في كلّ درب...
لم أهرّب في خبايا الوجد ذكراها _
ولم أرسم على قلبي مجالها
ولم أعط المدائن في سنين الجذب /
من شوقي لكي تحيا
وكي نحيا /

ونحيا _
آه من مدن التّجنيّ /
والتّجليّ !!

٢

ضاقّت المدن العتيقة بي،
كأنّي لم أكن يوماً بحامها
ولم أرسم بوادئها حدود ممالكي /
ومهالكي...
وكأنّي يا أيّها الرّبّع المنيع _
تبعثرت مّيّ القصائد
فاحترفت اللّيل _
لا يذكي سوى ولهي
فأسكر بالحروف
وتمتطي فيّ القصائد
كلّ بيت من بيوت الشّعـر...
يا ألق الجزيرة:
كم أراك ولا أراك!!
ويا اختفائي في حزونك _
في وهادك...

في التّشّتت كلّما
(أوغلت في حدّ المضارب!!)
هذه ليلى تراني _
هدبها _ /
غمّازة في أسفل الخدّ الأسيّل إلى اليسار _ /
ونظرة كالسّيف!!
آه من التّطلّع في محيط عيونها!؟
آه من الوجه الوضيء (...)
يعطر الشّمس الحيّية!!
آه من إقبالها،
وهفيفها
وروائها
ومهائها _
إدبارها،
والسّحر لا يرقى إلى أشياءها /
وسمائها!!؟؟!!
يا أيّها الوجه استعد ما كنت تملك _
في الجزيرة من بذار،
واستعد ما كنت تملك من دوار الشّعْر،
من كلّ انتظار،
من نهارة لا يكون إذا اختفت فيك الإشارة /
والعبارة /
واختصار الشّوق

يعتقه الإسار!?!؟!

يا أيها الطَّل:

_ الجزيرة لم تعد تعطي الجزيرة صبرها؛

ظمأى رواحلها _

الجزيرة لم تعد تعطي الجزيرة موتها وحياتها؛

جفلى مراتبها،

وشاء القوم جاعت،

أجدبت كلَّ الصَّحارى،

ما تبقت في بوادي الشَّام غير مآذن وصوامع

كانت هنا رهبان بصرى،

والحجاز هو الحجاز _

كانت هنا عرَّافة وعرافة،

وعصا تهشَّ على القوافل والبعير،

تسارق اللَّحظ المولَّه للصَّبِيّ /

إذا انتحى ركنا قصيًّا _

تختفي بين الموائد والقذور الرّاسيات،

وتحتفي بالقوم _

تسائلهم:

عن الصَّبِيّ الَّذي ولى،

ومن نفقت تجارته،

وعن سادات بيت الله،

من منهم رأى الإيوان؟!!

من ذاق الخمر
ومالاً الصّبيان في سوق العبيد؟!

٣

_ أنا بحيرى _
يا ابن شيبه _
هذه كتي وأورادي وعلمي _
هذه كلّ السنين وراء ظهري،
هذه ترنيمه الإنجيل فاسألني أجبك /
أو خلّني أسألك عن ذاك الصّبي:
_ لمن يكون؟!
_ ومن يكون؟!
قل يا ابن هشام التّريد؛
قل يا ابن شيبه _
إنّني ما جنّت من سغب الصّحارى،
ما تعرّرت جمّتي _
إلّا لكي أقتات من نفس الحجاز...!!
قل يا ابن شيبه _
إنّني ما اخترت أن أنأى
وأن أجتثّ روعي من بقاياها العريقة،

ما رغبت عن الحرير،
وروضة الریحان
والحور الجميلات اللواتي ما طمثن
وقهوة...
كم كنت أرجو لو سكبت مدادها في راحتي،
وما تنامت لحياتي،
ما استصحبتي الوحش والليل الغريم
وما نسيت أوائل وخواتمي
إلا لكي ألقى الغلام _
فلا ترغ _
إنّي أراه هو النّبي...!!

٤

(وأنا بحيرى لا أنام وأهجر الأصحاب إن ولى النّهار، وكلّمّا
أثبتت نجما نافرا في الليل صحت: _ إلى متى الإسرائ؟! كم...
كم شقيت أيا بحيرى! كم حفيت! وكم بليت فما ابتليت!!
أنا بحيرى، سمّيت باسمي النّجوم جميعها، والأرض جاعت
فاحتضنت مذاقها، كانت روائي واحترافي... كانت العقبان
عقباني، وكانت كلّها الوديان ودياني، وكلّ الشّمس شمسي،
والحجاز هو حجازي... أه، لكن حرفه ما غاب عني، ريجه،

استحضاره من قبل أن يهفو الفؤاد إلى الفؤاد!!؟ فيا حروف
سطوعه، يا كلّ خطو من خطاه، ويا رؤاه، ويا كلامي حين
ألقاني سمّي الرّوح، تسمو كلّ نفسي... فانتشر، يا أمّها
الإنجيل، مدّ وساطتي تلقاه فردا، مدّ أوردتي / دمي!! يا ليتني
ألقاه عبدا، ثمّ مثني... يا حروف ضراعتي كوني ثلاث، وكلّما
هزّت ترانيمي الجوارح كلّها، مدّي ومدّيني رباع...)
أنا بحيري:

_ ربّما كنت امتلكت!؟
_ وربّما كنت احتملت!؟
_ وربّما كنت انتسبت إلى الديار وطيبها!؟
_ ولربّما كنت اشتريت!؟
_ وربّما كنت ارتويت من النّساء،
عشقتهنّ،
ولدن لي ألفا من الغلمان؛
ملكّت الحرائر كلّها،
قربت قيصر من ديارى، من دثاري،
كان لي مثلي،
ومثل النّبض للقلب المعنى،
مثل نار ألهبّت ظهر الرّماد،
ومثل عمر عاش في عمر الصّقور
وما بلي!!

(لكنّ قيصر خانني!!؟!)

_ ولربّما كنت اعتنقت ديانة الآباء يوما
وامتثلت لأنني جرّيت حبّ الغيد:
أغوتني العيون وسحرها
فرشفت من أكنافها
وغرقت في أغوارها!!
_ ولربّما...
_ ولربّما...
حتى انتهيت إلى الحجاز
فكان لي!!

٥

(... اللّيل يخشى أن أصارحه فيأبى أن
أحدّد وجهتي فيما انتشلته من هسيس رطانة
أودعتها سرّي ولم أفهم رموز الشّوق فيها، علّني
إن نمت أو حاولت نوما ترجمت كلّ الرّموز إلى
لغات، واستلمت الحرف أشتاتا، فجمّعت
الحروف إلى اتّساق مدارها، ونذرت نفسي
للنداء: إلى مزارى، يا حجيج البيت، ركبانا،
زرافات، ووحدانا؛ إلى فيئي وظلّي إن تشاءمتم،
أو أعرقتمو، أو... أو تيامنتم؛ فهذي أضلعي،

من كلّ ضلع مهّدوا شوطا، فسيروا سبعة، روّوا
التّراب بما تيسّر من حنين البيت... روّوا أعظمي
من قطر مكّة إنّ قسطنطين أهلك عترتي وجى
خراجي، والقساوسة الذين تأوّلوا، وتأمروا كانوا
استراحوا من أناجيلي الّتي ما كنت أرضى أن
أدنّس عطرها بفصاحتي، وأوارب الكلمات حتّى
تختفي كلّ الصّفات، وتسقط الصّلبان في صدر
الحجاز... كلاً وربّي، ربّ إبراهيم، ربّ الأوّلين، ربّ
موسى والمسيح، طعنتم بالسّفر إثر السّفر، ما
خفت الصّكوك، ونقمة الحرمان، كانوا خمسة
وازدادوا عشرا، كانوا عصابة وازدادوا في حمّى
الضّجيج مثنيا ومثالنا، وأنا بحيرى واحد، لا ربّ
لي إلاّ الّذي قال:

_ الحجاز هو المعاد!
الأخشبان هما اللّدان /
تنافسا في ضمّه...

تنافست كلّ المراضع { في }
اقتسام سنيه _
مهّدن الثّرى لصباه...

(... خلت المدائن... قارف البحر اختفاءه... شمعة في بطن
 حوت أو نبي... أو صليل / ربّما صوت وصار الصّوت نجوى
 أو نداء: إنني أمنت في التّيه الأخير... وهذه كلّ الحليّ نسفتها
 نسفا، وهذا السّامريّ رجّمته ولعنته: لا ماء يشرب لا طعام،
 ولا مساس ولا منام... / سلام إسرائيل والتّوراة والعشر
 الوصايا أنت آخذة فخذة باقتدار الأنبياء، أيا كليم، وإن
 رجعت فمكرهم ما كان أوّل ما عرفت ولا أخيرا سوف تعرفه،
 فلا تغضب ولا تمسك بلحية من سألت بأن يكون لك الظّهير
 وأن يكون لك الوزير...)

_ إنيّ غفرت
 / بلى غفرت / !!
 وكنت خالقهم،
 فقلت:

«لتكفرون بما منحت...»

آباءكم؛

ولتهزمن وتقتلن،

وتتركن ببيعة...»

ولتذكرن بأني:

فضلتكم...»

وأمرت موسى /

أن يذيب الصخر ماء

فاستقيتم،

وارتوت أسباطكم؛

ثم انزلوا مصرا فقولوا:

_ حطة!

نغفر لكم من كل ذنب _

أي ذنب قد غفرناه لكم!

ثم اشربوا من ماءها،

ثم كلوا من بقلها /

من فومها /

قتائها...»

إني غفرت _

فلو صدقتم،

اقتلوا أبناءكم،

ثم اقتلوا أشياعكم ونسائكم؛

يا أيها الرهط الذي أدنيتهم،

يا أيها الزهط الذي نجيتهم _
أنزلت سلواني عليهم،
ثمّ مني...
وانتصرت من الذي استحيا /
الحرائر

والسراري:
كم عفوت فما رعيتم حرمتي!
كم مرّة أودعت فيكم حكمتي!
ونفثت من سرّي وآياتي _
إلى أخياركم...
وقضاتكم...
وملوكم...
ونذرت موسى كي أكلّمه نجياً _
كان مرضياً صفيّاً، اقترب من
جانب الطّور الذي باركت فيه،
وخذ من الألواح ما أعطيته،
قال النّبّي لربّه:

يا ربّ هل
أحظى برؤياك العليّة، هل
أكون من الذين تنعمت
أسماؤهم من نسل آدم والخليل
ومن حملت على السّفينة من
بني نوح وكلّ الصّالحين، أيا

كليم، إذا تجلّت طلعتي للطّور
فانظر، إن تر الطّور استقام
فقد رأيت، أيا كليم تصدّعت
أركان طورك، قال موسى:
إنّي آمنّت أنّ الله ربّي واحد،
لا شيء يشبهه
وليس له حائل،
لا ولد.»

(_ وتقدّست أسماؤك الحسنی _
إلهي !!)

(ط / و / ر)

في البدء حرف الله (١) ديجور وظلمة (٢) كلّ شيء مائع
متختر (٣) لا أرض بعد ولا سماء (٤) لا نهار ولا ضياء (٥) ولا ليال
مسبلات راحها (٦) لا معصرات (٧) لا نبات (٨) كان ربّ الكون
قبل الخلق بين قداسة و قداسة (٩) يأتيه طوعا كلّ شيء (١٠)
خطّه القلم المقدّس (١١) في ثنايا اللّوح (١٢) كن يا أيّها النور
الوضيء بإذن ربّك (١٣) والسّموات العلى (١٤) والأرض
والأوتاد (١٥) والشّجر المحمّل بالثّمار وبالبنّار (١٦) ونعمة
للأصفياء (١٧) جنان عدن (١٨) أنهر من خمرة (١٩) لا غول
فيها (٢٠) والجواري المنشآت (٢١) ركائب (٢٢) تقضون منها
ما تشاء نفوسكم (٢٣) قد تأكلون (٢٤) وتشربون لبانها (٢٥)
وإذا تعبتم تركبون (٢٦) تبارك الله العزيز وما خلق (٢٧) هل
تعرفون له شقيقا أو ولد (٢٨) أم هل ترون له شريكا (٢٩) لا،
وربّ العرش (٣٠) إنّ الله فرد واحد (٣١) خلق الخلائق من
تراب (٣٢) من جماع الطّين نشأ آدم (٣٣) ثمّ احتفى (٣٤) يا
أيّها الملك اسجدوا (٣٥) قالوا: إله العرش نسجد للذي قد
تهلك الأرض الوسيعة باسمه (٣٦) ويشيع فيها الخوف (٣٧)
والدمّ يهرق (٣٨) يا أيّها الملك اسجدوا (٣٩) إنّني قد اخترت
الذي نشأته (٤٠) علّمته الحرف الكريم (٤١) فهل تكون إرادة
فوق المرید (٤٢) هنالك انصاع الملائك كلّهم (٤٣) سجدوا (٤٤)

وما إبليس أول من سجد (٤٥) تبّت يداه وما كسب (٤٦) قال
اللّعين خلقته من طين هذي الأرض (٤٨) ثمّ خلقتني من
نارها (٤٨) إني المقدم في العلى (٤٩) اخرج أيا إبليس منها كافرا
مستكبرا (٥٠) يا ربّ أنظرنى إلى يوم اللّقا (٥١) اذهب لعنت
إلى تمام الدّين (٥٢) قال لأغوينّ جبلة (٥٣) وليعبدني كلّ عبد
أبق (٥٤) أو عبد سوء (٥٥) أو شريد زاغ (٥٦) كلاً والشّفق (٥٧)
والطّور والبيت الذي باركت فيه (٥٨) لأعتلنّ شرارهم (٥٩)
ولأدخلنّ كبارهم (٦٠) ناراً لظى (٦١) نزاعة (٦٢) تدعو
الذي كان اعتدى (٦٣) ثمّ انتظر (٦٤) أو لم يسيروا في ديار
الأولين (٦٥) ويروا إلى عاد الذين نهاهم الرّحمان أن يستمنحوا
حجرا (٦٦) ويأتّموا بأمر الواحد القهار (٦٧) قالوا نحن أكثر
قوة وأشدّ بأسا (٦٨) بل تمنّوا فاصطبر يا هود إنّ الله مهلكهم
بريح صرصر (٦٩) وثمود إنّ الله خيرهم فأعرض رهطهم (٧٠)
وتأمروا (٧١) يا صالح قد جئتكم ونصحتهم (٧٢) وأردتهم
للخير (٧٣) قلت لهم بأن يسترشدوا (٧٤) لا ربّ إلاّ الله (٧٥)
هذي ناقة من فيضه (٧٦) فدعوا لها من مائكم (٧٧) شربا لها
يوما وشربا سانحا دوما لكم (٧٨) لكنّهم صدّوا وقالوا كيف
نؤمن للذي ما كان فينا عاليا (٧٩) أو ذاع ذراع ساميا (٨٠)
فانظر إليهم كيف مادت أرضهم (٨١) تبّا لهم ويل لهم (٨٢) إذ
ينظرون وينظرون (٨٣) إلى الصّواعق ترتديهم (٨٤) يا معشر
الإنس انظروا واستذكروا (٨٥)

- انتهى -

رؤى
فى
مدارات الزّمن الآتى



* الإهداء *

إلى الذين تسللوا خفية إلى سويداء القلب ثم
ناموا في الشَّغاف... إلى الذين كنت أخاف دائماً
أن أرسل إليهم التَّحايا والسَّلَامات فتخونني
شجاعتي وتنزل الدَّموع، فتكون الذِّكْرَى
والمأساة... إليهم . هناك . على مشارف المقهى
القديم...!!

الإمضاء: ص. شعباني

* تصدير *

هو الصّوت...
فانزل
لكي تستريح قليلا...

صديقي شعباني

بين المحييين
أو
ما بيني وبينك

١

كأني أرى...
ذلك الوجه،
يا سيدي؛
كأني أرى...
كل شيء،
وما خبأته العيون
العذاب، وما وشوشته الجفون...
كأني أرى...
إذ أراك،
وما بين قلبي وقلبك
فوق العشيرة.
فوق الدماء.
وفوق انهيار المسافات...
إنني أرى.

سيدي .
ما يراه البعيد،
وفي القلب ينمو الكلام،
وتنمو الصفات التي رقرقتها الشجون
وأعطت شذاها لكل الغياب...
أرى راحتك على القلب،
في كل شبر تمددت فيه،
وفي كل حرف هجست به:
. أن تعال!
فما بين قلبي وقلبك
فوق العشيرة .
فوق الدماء .
وكل الغياب!!

كَأَنِّي...
 هناك، وما لكت في البعد .
 إذ طاولت أذرعِي منتهأها،
 وغطت مداي القديم .
 نوى الباذلين لصمتي الترانيم،
 والحاملين لعينيّ وشوشة
 تمتطيّني،
 فأذكر أنّي نسيت،
 ولم أنس ما كان بين المساء
 وبين المساء...
 ولم أنس شيئاً:
 هبوب التّسيم القديم،
 خطانا المديدات،
 بعض التّجمل...
 صوتا يبعثر في المقلتين نشيدا،
 ويحمل في القلب كلّ الجواب!!

(كأنّي رأيت الذي كان
 من ألف عام، كأنّي انتزعت

الَّذِي كَانَ يَحْمَلُ ضِعْفِي ،
وَيُحْجِبُنِي ... وَكَأَنِّي أَرَى إِذْ
أَرَاكَ ، عَلَى صَهْوَةِ الْحَرْفِ ،
كَلَّ الْجُمُوحِ ، وَكَلَّ الْقَبِيلَةَ ، يَا سَيِّدِي ...
بَيْنَ قَلْبِي وَقَلْبِكَ .
إِنْ شِئْتِ .
كَلَّ الْمَسَاءَ الْجَمِيلَ ...
وَوَشُوشَةَ الشَّيْءِ ،
حَتَّى الدَّخَانِ ...
وَإِنْ شِئْتِ ،
أَحْرَقْتِ حَرْفِي
وَكَلَّ الْكَلَامَ ...
وَأَحْرَقْتِ شَوْقِي ،
وَأَرْسَلْتَهُ ... عَلَّ قَلْبِي
إِذَا امْتَدَّتِ الْحَلَقَاتُ مَسَاءً
يَبَاغْتِكُمْ . مِنْ صَمِيمِ الْغِيَابِ .
بِمَفْتَحِ السَّلَامِ)

(صور في: ٢٠٠٣.١.٩)

(حوارية)

«مدينة اليونان القديمة، الشوارع مقفرة
والظلام يسود الأفق»
(وارتخاء الشفة السفلى على الشهوة
والرعب شدت يدي «تينا» الشهية)

_ حاوي / «دعوى قديمة» /

*** **

«ومدينة جيكور. مثل الأرض الخراب،
مدينة انهيار القيم. سكانها موتى لا
رجاء لها بان يبعث الموتى ولا مأمل لها
بالخلود!»

_ السياب / «مرثية جيكور» /

*** **

«هكذا قد أسف من نفسه الإنسان وانهار
كانهيار العمود. فهو يسعى وحلمه الخبز والأسمال
واعتصار اليهود! والذي حارت البرية فيه بالتأويل
كائن ذو نقود!

/ «المومس العمياء، حفّار القبور» /

*** **

«لا أجد
الرجل المشنوق...»

_ إبيوت / «دفن الموتى» /

*** **

«المدينة في ثوبها الليليّ الجميل تنام هادئة
مطمئنة، والشوارع تغمرها مسحة من سكون
صامت، يظهر شبح يكتسح هذه الظلمة ويبيده
قنديل، يبدو وكأنه شبح من أشباح الليالي
الهائمة...»

أفلاطون:

«مخاطبا نفسه»

أين أنت أيّتها الحقيقة؟ مات الأب سقراط من أجلك وها
أنذا سخّرت نفسي من أجل الظّفربك... مات الأب سقراط
أيّتها الحقيقة... بحث عنك طويلا ولكنهم أعدموه... وأنا لن
أياس... سأبحث عنك إلى آخر رمق في حياتي... إنّ دليلي هو
عقلي وقلبي هو مرشدي والروح لن تموت...

(يظهر على بعد منه رجل يمشي في الطريق...
يتقدّم رويدا رويدا إلى أن يصل إليه... يدني منه
أفلاطون قنديله...)

أفلاطون:

هو أنت فيليس...؟

فيليس:

«متعجّبا»

نعم... ولكن ما الذي أتى بك إلى هنا، في هذا الظلام، أيها الأب...؟

أفلاطون:

أيها مشيئة الآلهة، يا ولدي؛ (مستطردا) ولعلني لا أكذبك إذ أقول لك إنني أبحث عن الحقيقة...

فيليس:

وأية حقيقة...!؟

أفلاطون:

«بحدّة»

حقيقة الرّوح، يا ولدي... حقيقة هذا العالم المأفون...
حقيقة هذا الكون العجيب...

فيليس:

إنني لم أفهمك، أيها الأب المعلم.

أفلاطون:

«رافعا رأسه إلى السّماء»

أجيبه، أيّها النّجوم... أجيبه... قولي له سبب مجيئي إلى هنا، في هذا اللّيل الأبكم... أنيري له الطّريق ليرى الحقيقة التي أجدّ في البحث عنها... (ثمّ ناظرا إلى فيليس) إنني لست مجنوناً... لست مجنوناً، ولا بدّ أن تظهر الحقيقة يوماً ما.

فيليس:

«مستفهماً»

وهل الحقيقة في متناول الجميع حتّى نظفر بها ونراها رأي العين... إنّ الحقيقة ليست شيئاً ملموساً، وإنّما هي شيء

نحدس به ولا نراه... هكذا قلت أيها الأب، ومازلت تكرر في
مدرسة حديقتك.

أفلاطون:

إنه الصّدق، يا ولدي؛ ولا بدّ للحقيقة أن تظهر يوماً... إنّ
سقراط لم يمت، وستظلّ كلماته ترنّ في آذاننا إلى ما لانهاية...

فيليس:

ألهذه الدّرجة تشغلك حقيقة ضائعة في الكون الواسع
الشّاسع؟!!

أفلاطون:

إننا إذا لم نبحث عنها تجاهلتنا ونسيتنا... فالحقيقة
كالضّباب لا يظهر إلّا لمّاماً؛ ولذا علينا البحث والتّقصّي
لإدراكها...

فيليس:

«مستغرباً»

وما الحقيقة، في نظرك، أيها المعلّم؟

أفلاطون:

الحقيقة هي معرفة الأشياء وأشكالها وأنواعها والإمام بها
لمّاماً يمكننا معه إيجاد منطق نسير عليه...

(يغيب فيليس في الظلّمة... ويسير أفلاطون لطيّته...)

(المتلوّي / شتاء ١٩٨٧)



(خاطرة)

الإنسان الضائع على درب المجهول، مقتولا
بشعوره وعواطفه وسط عاصفة الموت.
الإنسان - هذا الذي تحدّى وصمد يقف اليوم
عاجزا حائرا. ما عساه يفعل وقد تاه في غربة
روحية بين صخرة الفناء الأزلية؟ بماذا عساه
يصرخ؟ وماذا عساه يقول...!!؟

امتدت به الطّرق إلى اللانهاية ونفته خواطر
النّور، ليضيع في متاهة العدم... كلّ الأشباح
من حوله تتراءى له كهواتف اللّيل وصرخة
المجروح... وحدته، عزلته، شروده، تشكّله، يبين
له كأنّه سراب يتراه سراب...)

(المتلوي: شتاء ١٩٨٧)

.مقام.
(العشق والفيوضات)

١

البحر تعطّر من نفسي،
وتخفّف من قلق السّمّار...
رمى الكاسات
وقهوة ندمان الأمس!!

٢

وأنا .
مفتونا .
لم أعرف لغتي،
وسكرت
على نخب البحر،
ورقصت .

شطحت...
نسيت الأسرار الأولى.
ونسيت التذكير،
و«تاء» التأنيث،
ومعنى الجمع،
وكلّ التنكير

.....

ونسيت بأنّ البحر
تعطّر من نفسي
وتخفّف من قلق السّمار...
رمى الكاسات
وقهوة ندمان الأمس!!

٣

بيدي...
لا شيء!!
وبقلي
(أعطيت الصّلبان تباريحي،
أوطأت الرّهبان...
جفاء الصّمت!!)
وقمت أقلّب في اللّيل

نجوما تتداعى...
وأعدّد ما ظلّ بنبضي
لأزّوج الآمي
تلايبب اللّيل!!

٤

بيدي...
في البدء،
أرى شيها .
شيئا من بعد الآتين إلى قلبي .
حرفا مسكونا،
يهجس باسمي...
ونفيرا...
أجنادا وطبولا،
وحروفا تعطيني حروفا،
وكلاما يملأ أوردتي...
بالصّمت القادم من نبضي .
والبحر تعطرّ من نفسي،
وتخفّف من قلق السّمّار...
رمى الكاسات
وقهوة ندمان الأمس!!

بيدي...
 عيناى... محارات... ولآلى...
 دمعات... تتعلّق بالجسد المقبور...
 بحرف شاكسنى...
 فى الهجس...
 وكنت تأولت كلاما...
 أوشتك بغير الكلمات الأولى!!
 أبى...
 أمى...
 بيتى...
 إخوانى...
 وضجيج فى الدار المسكونة
 يعلن:
 حملى .
 ميلادى...
 ينطقنى:
 ((الأسماء نهايات الأشياء؛
 حروف الأجداد،
 وشعر النابغة... الأعشى... وعنترة...

الطَّائِي...
ومن أغلق باب الشَّعر،
فكان حديث النَّاس،
وشاغل دنياهم!!))

والبحر تعطَّر من نفسي،
وتخفَّف من قلق السَّمَّار...
رمى الكاسات
وقهوة ندمان الأمس!!

٦

بيدي...
شفتاي... تحاول تمديد الحرف،
وأكتض...
تأتي الأشواك فتجرح أوردتي...
تأتي الأنغام فتأسر قلبي...
تغلق بابي .
تسكرني...
تأتي الزايات من البحر...
فأرى سفنا...
قرصانا يلبس أجنادا وسلاحا .

يجرحني،
فأرى قلبي يغرق في الدّم،
وأعني على نخب القرصان،
أراني أنطق كلّ الأسماء.
أسمائي...
أبي...
أمي...
إخواني...
وضجيج في الدّار المسكونة
يعلن:
حملي.
ميلادي...
والبحر تعطرّ من نفسي،
وتخفّف من قلق السّمّار...
رمى الكاسات
وقهوة ندمان الأمس!!

٧

تتوتّر أنفاسي...
وتضوع بأنفي رائحة الحمّى،
ألقي بيدي،

من غور الرّوح .
أياد تكتب بالحبر السّري
لغات الأجداد ،
مراثيمهم...
وحروف الصّبيان،
أوائل حبوفي البيت المنسيّ!
(تداعبني امرأة،
تنشدّ يدي على الوجه الغامر
أقرأ في العينين
تواريخا...
أقرأ في الوجه تقاسيمي؛
في الخدّ أمامي تغزوني
كلمات الألف .
وحرفي المبتدأ)
الاسم)...
أرى وطننا
وقرى
مدنا .
والبحر تعطرّ من نفسي
وتخفّف من قلق السّمّار...
رمى الكاسات
وقهوة ندمان الأمس!!

تأتي الأشياء على كفي
تأتي الأسماء جميعا
ودمي يختطّ على عينيّ فراغا...
تأتي الأسماء وأنكرها
وأصوغ الأشياء بلا حرف...
تتداعى،
فأجفل من حمى الروح
وأنشد في الأنفاس حروفا
وحروفا...
وحروفا...
تأتي الكلمات هي الأخرى
وأنكرها،
وأحرفها:
.ألف
باء
تاء
ثاء
...
(لغتي...)

لاكت...
غوغاء...
التّوت...
يد تمتدّ...
فتغلق دهليز الحلق!!
أأصرخ...
والصّوت تلاشى؟!
أغمض عينيّ
وأسكب في قلبي من النّار
وحمّى الأنفاس؟!
وأسفك لون الحرف
وخدّام الكلمات!؟!

والبحر تعطرّ من نفسي
وتخفّف من قلق السّمّار...
رمى الكاسات
وقهوة ندمان الأمس!!

٩

أستدعي الحمّى ثانية،
وأدور... أدور...

فتهمد أوجاع الرّأس
ويسكنني الشّطح...
الحلقات .
وأشياخي...
وأدور مع التّرنيم،
أحاديثنا:
. القلب المعمود أراني
إحجام التّدويم...
أراني سحابات
تغسل كفي من شبه
المثليّة...
توغل في قلبي
وأدور... أدور...
فأنسى الكلمات،
أدور...
فأنسى الحرف الرّابض
في فوضى الأصوات،
أدور...
فأنسى الإحجام
على باب السّكنات الأولى؛
وأدور...
فيأتيني الهجس...
ترانيم الكشف

وأشياخي
الحلقات...
وتهمد أوجاع الرأس
ويدسكنني الشطح...
.....
والبحر تعطر من نفسي
وتخفف من قلق السمّار
رمي الكاسات
وقهوة ندمان لأمس!!

١٠

بيدي...
شفتي صلبان
حجر...
عيناى تغيمان...
وأشمّ روائح شتى؛
من ذاك القادم
في خفر؟!
من ذاك المشدود
إلى قلبي...
ويمصرني?!

يعطيني التّغيير،
ويطعمني الرّفد القيوميّ،
فأحتاط حياءً،
أكره أن أنسى الأجداد
تباريحي الأولى،
أمّي
أبي
بيتي
وإخواني...
وأكره أن أنسى حروفي.
كلماتي...
فيختطّ دموعاً تغرقني
وأراه يقول:
تعلّم فدموع
لا تجرح قلبك
لا تكفي...
وتعود أن تشطح
قبل الشّطح،
وغامر وحدك...
هذا البدء بلا كلم،
الحرف سيأتي،
فتعلّم أن تحرق
أورادا أولى،

وسجايا .
صفات الأجداد
بقاياهم .
واستعبر
كي يأتي الكشف
حروفا أخرى
وبقايا تجرح قلبك
حدّ التّدويم

.....

والبحر تعطّر من نفسي
وتخفّف من قلق السّمّار...
رمى الكاسات
وقهوة ندمان الأمس!!

١١

(إني أتواجد،
والأيدي...
أرى غبشا في الأفق!!
وحمى الرأس
بلا قلب...
وأدور على نفسي

فتشمّ لهاتي تباريحا
وبخورا يشطح في إثري؛
أمتدّ إلى الضّوع
النافر...
تلقيني يد .
أيد...
رئتي
عيناى
تقاسيم في الوجه المسكوب
وماء عفرّتي
حدّ التّرويع...
وعمر يتبعثر في نفسي!!
وأدور...
أدور...
أرى غبشا،
وحروفا تتساقط من دمعي
إذ أبكي...
وأرى]
فكأّتي أرى [
لا أجرؤ أن أعلم
ما نبئت بأن أصبر...
أشياخي نهوني .
للعلم مراق،

ولصبر النَّسَاك مقامات!
والبحر تعطَّر من نفسي
وتخفَّف من قلق السَّمَار
رمى الكاسات
وقهوة ندمان الأمس!!

١٢

بيدي...
شفتاي... فمي...
عبق بهمي... ورؤى...
وصحارى... سياح...
تغيير... صوفيون...
نقيب يضحك لي...
ورنين... أوتار...
ديوان يفتحه الخدّام... شذى كالمسك...
وبوقات تعلن قرب النسيان...
شفتاي...
فمي حجر...
قدماي يكبلها الوجد
وأدور...
تماريني الكلمات

فأنكرها...
وأدوس حروفا
تغرقني...
وأنا .
مفتونا .
أهجس باسم غير الاسم...
أرى غرقا
يأتيني فيغرقني...
بحرا يمنحني خدرا
وحروفا تعضد أورادي
وتقيم على باب القلب
جسر التّغيير
ووجد الكلمات...

والبحر تعطرّ من نفسي
وتخفّف من قلق السّمار
رمى الكاسات
وقهوة ندمان الأمس!!

سكر القلب المسكون .
أحبائي...
ونشيد الصّحويحاورني،
فأريق من الخمر على جسدي،
أتباعد في الكاسات؛
ولا أصحو... وتراودني
العلات... فأنسى أنني
محمول... أتسامى في
نفسي، وأريق من الخمر على
جسدي، وأدور لتهرب
في الرأس طبول الكلمات...
وأهرب من حربي... من
صوت قيّدي، مذ كنت
جنينا... من جسدي المشدود
إلى الحبوبصوت الألاف،
مناغاة تأتيني من العمق،
فتحرقني... من أيد تمنعني
الهرب المسكون، وتسكبني،
فأرى أشياء منها تعبر

ذاكرتي، وأصيح بها:
رفقا قاتلتي! فطريقي
تتشعب في ضلعي!...
وأصيح بها:
رحما سائمتي الخسف
الموصول! فقلبي يفتش
عن شيء غير الكلمات!!
والبحر تعطر من نفسي
وتخفف من قلق السّمار
رمى الكاسات
وقهوة ندمان الأمس!!

(صور في: ٢٨.١٢.٢٠٠٢)

مرثيات
في تأبين حسين بن تكريت
العلوي الطالبي الهاشمي القرشي
التكريتي العراقي العربي

**** المرثية الأولى ****

١

لا دمع يبقى في الجفون... إذا رحلت!
فهل رحلت؟!؟
لا قلب يحتمل المرارة مثل قلبي،
غير أنني مثلهم أسلمتهم سرّي؛
وقلت: خذوا بقايا الماء والصّبّار...
لا قلب يحتمل المرارة مثل قلبي،
غير أنني مثلهم أوقدت شمعا للخريف،
عبرت نهر الخوف،
أوقفت الزّمان هنيئة،
وفرشت قلبي للنّشيد؛
فهل رحلت؟!
أيا بقايا الماء والصّبّار!
يا عبق الفرات...!
ويا مزيجا من زمان المعجزات؛
أيا نفس الرّصافة. يا حسين!
أيا خريّر الرّافدين. أيا حسين!
ويا ألق المآذن. يا حسين!

لا قلب يحتمل المرارة. يا حسين!
غير قلبي...

٢

الليل أطول من سكون الميَّتين،
وهذه بغداد تنسى
مثل كلِّ العاشقين .
بغداد تلتحف الرَّماد
وتبعثر الخطو الخفيّ
وتنتشي حتّى الثَّمالة بالَّذين تمرّدوا فيها
تنير لهم كلِّ الدّروب،
وكلّ باب في المسالك، يا حسين!
فمن المعلوم؟!
ومن يقول بأنّ بغداد التي ماتت زمانا
لم تقم من نومها مثل الخرافات القديمة،
كي تقول لك الوداع، أيا حسين!
وكي تثير وراءك الأصوات،
تعطيك التّحايا القاتلات،
وروحك الظّماى لقطّاع المسالك والدّروب، أيا
حسين!

لا عذرلي،
هذي يدي،
في كلّ شبر من دمائك،
في سرايين الخضاب،
وفي بقايا كنت أعرفها:
حروف كنت أسمعها،
وأشياء بلون البيلسان،
وعطرك الهفهاف،
أغنية...
وبعض الشّوق!!
صورتك الّتي خاطبتها زمنا،
ولم تعرف بأنّي واحد
ترديه قنبلة ويشنقه الحصار!!
فلك السّلام،
أيا حسين!
لك السّلام!!

(صور في: ٢٠٠٣.٤.٢٠)

**** المرثية الثانية ****

١

(أهذه بغداد . أيا حسين؟!)

٢

أهذه بغداد أم كلاهما؟!
أهذه بغداد أم خيل من جاؤوا من النسيان،
لوثوا مدادها
وحبرها وماءها .
ومرغوا التاريخ في أعطافها بدمها؟!
أهذه بغداد،
أم تعب الحضاره؟
أهذه بغداد .
بغداد التي أعطت مفاتيح الزمان
للفرات،
بغداد التي كانت نشيدا ومرايا،
ومدادا من ترانيم

الَّذِينَ يَلْمُوا شِعْثَ الْمَكَانِ؟؟؟!

هذه بغداد،
أحرفها الكثيرة...
قصائد كانت تقول مجدها
للمازجين خمرها...
ورحلة .بغداد .
في التّاريخ،
في أصل الزّمان...

هذه بغداد...
تأكلني عيونها،
أخاف، يا حسين، منها،
أخافها...
أخافها...
أخافها...

(صور في: ٢١.٤.٣.٢٠٠٠)

**** المرثية الثالثة ****

١

لم يفهموك
فقاتلوك .
أيا حسين!

٢

لم يفهموك
فأثبتوك
وهنا .
على صفصافة
شنقوك

٣

لم يفهموك
لم يفهموك
لم يفهموك

٤

لم يفهموك .
أيا حسين،
لأنّهم صلبوك!!
ولأنّهم أعطوك عهدا مغلظا
وتنصّلوا...
خانوك . يا ابن الرافدين،
أيا حسين،
وأثبتوك...
لم يفهموك
فقاتلوك
وهنا .
على صفصافة
شنقوك

٥

لم يفهموك
قد أثبتوك
لم يفهموك
وهنا .
على صفصافة
صلبوك

٦

لهفي عليك...
أيا حسين...
لهفي على بغداد
تسلم حاملها
في الجفون
وفي القلوب...
لهفي على بغداد
توطئ سالبها
خصرها

وجنائها
وبنائها...
وحسين قلب الرّافدين
وحسين سيّد الشهداء
الكلّ يعرفه ويبحث عنه...
الكلّ يعرفه ولو وجدوه
كانت أياديهم عليه
نعالمهم
وحرورهم تلك التي كانت عهدا
لم تعد غير الأظافر في دموعك .
يا حسين .
لم تعد غير السيّوف
تنوش صمّتك .
يا حسين...
وحسين قلب الرّافدين
وحسين سيّد الشهداء
الكلّ يعرفه ويبحث عنه
الكلّ يعرفه ولو وجدوه
تنصّلوا منه...
هنا...
في قلب بغداد
أشهبوا كلّ السيّوف...
هنا،

ذبحوه!!
وحسين قلب الرّافدين
لم يفهموه
لم يفهموه
لم يفهموه

٧

لم يفهموك
لم يفهموك
لم يفهموك

٨

لهفي عليك،
أيا حسين،
إذ قاتلوك
وأثبتوك
وهنا.
على صفصافة
شنقوك

وهنا .
على صفصافة
صلبوك...!!

لهفي على بغداد تذنّب مرتين ،
أيا حسين...
أيا حسين...
أيا حسين...

يا ابن الرّافدين ،
أيا حسين...
يا سيّد الشّهداء ،
يا ابن الرّافدين ،
أيا حسين...
أيا حسين...
أيا حسين...

(صور في: ٢٢.٤.٢٠٠٣)

** المرثية الرابعة **

١

قمرِخبيّ دفئه في مقلتيه... وطن يبعر خطوه ويعدّ عشرا،
يسحب الأشلاء من صمت القنابل في سكون، يغفر الذنب
الكبير لقاتل، ويعلّق الخازوق والمتراس للضيف الذي ما عاد
ضيفا... يملأ الحيطان بالشوك، وفي الصّوت التياث، ثمّ في
الأيدي المقابر؛ أين ماء الوجد في بغداد؟! هارون الرّشيد؟!
ودجلة؟! أين الخطى التي تنشدّ دوما للفرات؟! وأين مئذنة
المدائن؟! والسّكون؟! وصمت من كانوا هنا، وكأنتي لم أنسهم!
وكأنتي كنت الفقير ببايهم، وكأنتي كنت الأمير، ببايهم، وأنا الأسير
اليوم، أبحث عن فقيد ضاع مّي في الخنادق والجسور؟!...
قمرِخبيّ دفئه في مقلتيه! قمر يدقّ في النّجوم، وفي الشّعاع
لكي يقيم مدائن الأسرار، يفرش السّكينة، ثمّ يأتي، عند
أعتاب الفرات، فيشتكي من مائه، ومياهه اليوم الدّماء... قمر
يريد، فلا يرى غير الدّماء، قمر يعيد ترتيب الحروف، ويكتب
الأشياء والأسماء... قمر يرى بغداد في كفّ الهباء، يعيدها شيئا
فشيئا، يورد الأشياء موردها، ويكتب أنّها كانت هنا بغداد من
قبل ومن بعد، وبغداد التي كانت بقلبي لم تعد شيئا... وبغداد
التي كانت تهاوت عند أشباه الرّجال، تزيتت في ليلها الآتي...

فيا بغداد مهلا!!
إنك بغداد يا بغداد!!

٢

القلب مدمى بالجراح، وفي يدي صور لمن ضيّعته؛ يا أيها
الركب الميمّم شطرها... يا أيها الحادي، جراحك مثل جرحي،
والغ جرحي وجرحك حدّ قتل اليأس لليأس... حدّ نزع الرّوح
من بيّارة علّققتها في إخمصي لأهتدي منها لأنسام العراق، فهل
رأيت ملامحا مثل التي عندي بحان أو بخان؟ هل سمعت
مرتلا في التّيه يفتش الأغاني، يحيكها في راحتيه على عبير
الأقحوان منارة في قلب بغداد العتيق، يحيكها من دمعتين
على الجفون، ويكتفي بالصّمّت في اللّيل، لأنّ النّجم ساءله
مرارا، فلم يجد في بعض أحرفه الفرات، ولم يجد في اللّيل
غير اللّيل؛ ما وجد الفرات على طريق الماء والزيتون، ما وجد
امتداد الشّاعر المفتون. (مات). وإنّما أشلاؤه، أسماؤه؛ وهنا
توسّد. سيّدي. أحلامه، فرشت بجفنيه العصور مدائنا من
كلّ عصر، جمّعته من مزيج الشّرق. هذي النّوق الضّامرات
أعطته المسافة ... جمّعته من مزيج الشّرق. هذي الفلك
تمنحه الطّريق القادم المسحور في ورق شريد ... جمّعته من
مزيج الشّرق أغنية ولحن، وهوات ... جمّعته، أيها الحادي،
سطور غافلتني ثمّ كانت سوسنا في راحتي؛ فهذه صور لمن

ضيّعته... طود طوال، وهو يمشي مثل أنسام على وجه
الفرات... وإذا بكى...!! آه، بكى، هذي الدّموع ودمعة أخرى
أراها؛ هذه صوري، أيا حادي، جراحك مثل جرحي، والغ
جرحي وجرحك حدّ قتل اليأس لليأس... حدّ نزعي من يدي لمن
انتهى ألما في خاطري...

بغداد تحرقني...

بغداد تحجب ما تبقى من دمي...

وتقول لي شيئا بسرّ...

أنتهي في الأفق همهمة...

بغداد أعبدها

وتكرهني...

بغداد تحرقني...

بغداد تلفظني

فأبكي...

يا حسين!!

بغداد تضحك

ثمّ يأتي الخوف يعلمني بموتك،

يا حسين...

أبكي مرّتين...

بغداد تذنب مرّتين...

أيا حسين...

أيا حسين...

(صور في: ٢٣.٣.٢٠٠٣)

**** المرثية الخامسة ****

١

سألت البحر عنك...
سألت النار والحجرا...
سألت الطيف .
ذاك الطيف تعرفه...
سألت الدار في بغداد
والكرخ... الرصافة،
والمدائن...
والطريق على المقابر...
والنّسور وكلّ طير
هارب من ليل بغداد الحزين؛
سألت حجرتك البسيطة
ما تركت على المشاجب
ما قرأت على السّطور
وما كتبت على الرّقائق من سطور...
ما تركت على المعاني الملتصقات على
الجسور
وما خطّطت على اللّحاف

بأنَّ بغداد الّتي ماتت تخون
وأتمّها أبداً تخون
لأنّها ماتت
ومن ماتت به الذّكرى يخون!!

٢

سألت الوادي...
يا وادي:
لعلّك لم تكن تدري...
وبغداد البعيدة تمتطي سحب الغياب
ولا ترى أن تنجلي...
يا وادي، هل أبصرته؟
يا وادي هل أعطيته خبزا.
فقد يطوي الحسين لياليا،
لا يعرف الخبز المسمّن في بيوت الخاطئين،
ولا يرى ما يشتميه الآخرون،
فهل شكا ألما؟
وهل غاضت مياه البحر
والنّهر المسيّج...
هل شكا ظلماً حسين؟!

٣

سألت الخطو عنك
وخطوة أخرى...
سألت النّجم والقمر
سألت الله في سرّي بأن يحيا الحسين!

٤

سألت الكفّ
والرّمْل المبدّد في يدي
أين الذي أعطيته قلبي
فمات القلب إذ مات...
أيا خطاي،
أيا تراب الأرض،
يا أثرا...
أقم جسرا بقلبي
كي أراه بمقلتيّ
وأمتطي في التّيه
صهوته الزّمان...

أيا خطاي،
أيا تراب الأرض،
يا أثرا،
سأرضى بالذي سطرته
فامنح مراميك الكثيرة في المكان
لعلني يوما أراه...
لعله يبكي
فأبكي
ثم نبكي
كي نرى بغداد يقتلها الجناة،
وكي نرى بغداد تذب مرتين!!

(صور في: ٢٥.٤.٢٠٠٣)

**** المرثية السادسة ****

١

يعودون من قمقم التيه...
لم يبق خلف البحار
سوى عمّة في ممرّ العبور
ودالية عرّشت في صميم الجدار...
يعودون بعد انتهاء الزّمان،
وقبل انتحار المكان
على راية في طريق الفرات
ليمتدّ في دمهم كلّ ذاك الخراب
ويعترفوا أنّهم
قرّروا اليوم أن يستमितوا
عسى صومهم ينتهي اليوم
أو ينتهي التيه
في غرفة للجلوس
وكأس تنام على حرقّة في الشّفاه...

يعودون تحت ظلال السيوف
جلابيههم تمتطيهم
فيمشون شوطا من الدرب
يقعون خلف البنادق
يبكون في الليل حتى الثمالة...
وبغداد ليست سوى غرفة للجلوس
وكأس تناولها الشعراء...
وكأس تناولها القادمون على صهوة الجرح...
لم تبق غير العمائم
واليوم يأتي الحسين ذبيحا،
فيضحك كلّ الجناة
ومن مدّدوا شعرهم في القباب
وصبّوا على القبرزيتا
وقالوا:
كفانا بكاء،
فمن مات مات...
ومن مات لا يحتسي خمرا إن بكينا...
ومن مات لا يعتلي عرشنا...
فالعروش لنا...

ولا يعتلي عرشنا غيرنا...

٣

يعودون،
ما أكثر القادمين!

٤

يعودون من غير اسم
يعودون من غير صوت
يعودون من ألف عام
ومن ألف تيه كبير
فكيف أقول لهم مرحبا
والحروف لها لهفة البوح...
كيف أقول لهم
إخوتي القادمون سلاما
وهم يستكينون خلف الرصاص
وهم يستमितون بين المعابر كي يقتلونني
فكيف أقول لهم مرحبا
كيف يهفو الفؤاد
ولا صوت يحتمل الهجس

لا اسم له هينة الماء في النهر
لا قلب يعتقني من دموعي السّخينة
حين أرى سيّدي في المنام
يقاتله العائدون...
ويقتله القادمون...

٥

يعودون،
ما أكثر القادمين!
يعودون،
ما أوحش اللّيل!
ما أفضع الصّمت!
قلي يقول صلاة،
وفي لحظة،
أنتهي بين سيف ورمح...
فما أكثر القادمين!
وما أفضع الصّمت!
ما أكثر القاتلين!
وهم عائدون...
وهم عائدون...

(صور في: ٢٥.٤.٢٠٠٣)

**** المرثية السابعة ****

١

يرتخي القوس ،
فأنسى الحرب ،
أسلو الدار .
هذه الدار ليست لي ،
وربما كانت الدار مداري الآخر الآخر...
لا مهرب من عين
أراها كلما أمعنت في السير وراء ،
أو أماما ؛
لست أدري أنّ كون الله قد صار اختصارا ،
وهروبي علّة أخرى لكي أحيأ ،
وأحيأ ساعة
في بيتنا المنسيّ قبل أن يروني ،
فأرى في عينهم موتي...
يخون الماء !
كنت أحسب الماء ضنيننا بحياتي ،
وأنا أعطيته من لوثة العمر الكثير ،
ونسخت الرّوح من أحشائه ،

كوّنته مثل الجنين...
لكن الماء يملّ الحبّ، حتّى الحبّ!!

٢

ترتخي الأعصاب
ساعة أخرى
فتملّ الدّار أشيائي الكثيره
وأرى غير بعيد
أنّي متّ... ومتّ
ألف مرّه؛
ويميل الشّارع الخلفيّ نحوي
فأرى الدّيدان أوطانا
وحيطانا
أراني خلف ظلّي
فكرة أسيانة
حطّت على نافذة
ثمّ تنامت
ثمّ ماتت...
ليتني من بينهم
أتي بمن يبكي عليّ
ليتني في ساعة أخرى

أقتفي خطوي
وظلّي راية
تمتدّ خلفي وأمامي...
ليتهم يمضون خلفي
مرّة واحدة
فأرى بغداد في قبر الحسين!!
ليتهم يرضون بالقلب أسيرا
فأرى دمع الحسين
وأرى في قلبه سيفاً .
سقاني الحتف ذات السّيف،
يا سيف العراق:
أوكلّما تنامى الموت في نبض الفرات
قطعت أيدي الحسين!؟

٣

(خطوة أخرى إلى البحر، وهذا اللّيل بقايا من شكاتي أو رفااتي؛ إنني بين الجهات...! إنني ضيّعت في الحرف الأخير مدني، ضيّعت ذكرى الدّار والأهل وشيئا من شتات الاسم، يا سيّد هذا الاسم من يحمله عتيّ وعنك؟! من يبوح بوشيش الذّكريات، وله الصّبر على الموت بحرف السّيف والقتل المنظّم؟! من له أن يحتمي بالماء يسكبه شيئا في سرايين أبت إلاّ الحصار، في

شرايين تمزقت من الموت على راحتها، لكتفها كانت مدى البحر
وخيطا ألقيا يستبيني كلما أوشكت أن أهوي إلى صمتي،
وصمتي وارف الظلّ، خدوش في مرامي اللّيل؛ هل صمتي خيال
أم ظلال؟ أم بقاياي الأخيرة وبحرماؤه مثل اللّجين؟!)

ذاكره...

مدن...

زمن مستطرد في خاطري...

صورة.

والمدى...

شعراء،

في المساء الآخر...

في بقايا الدّور...

ينظمون الشعر.

يلقون الكلام

في المزابل...

قال لي

والدّمع في عينيه:

مت هنا مثلي،

أو تعلّل،

مت على الكأس الأخيره...

لا تقل شيئا عن الحرب،

وسيفك...

هاته سيفك
وخذ كأس التّصافي من يدي،
خذ نياشيني الكثيره
وسلاحي
فكلامي لعبة بين الأيادي
وكلامي فورة بين الشّفاه
وغدا يلقون بي بين الأيادي
كي أموت على الرّفات
وغدا أموت على الصّليب
فأنا الضّحيّة الأخرى
كنت وشما في جباه الآخرين
كنت عمرا نابضا في كلّ سطر
من شجون الآخرين
وأنا استنبتت أغصانا
في قلوب الآخرين...
وأموت...
أموت...
مثل نار قد خبت
من ألف حزن وأنين...
ليتني ناروفي
الجبل الدّخان
كي يراني العابرون
كي يراني القادمون.
يمنحوني فوق قبري الشّاهده...

كي يقولوا:

«رحم الله الحسين

رحم الله الذي كان امتدادا للفرات

ولم يمت فيه العراق...

لم تمت فيه الأصائل...

والشذى الباقي من العمر القصير...

كان يمشي مثل همس

مثل أنفاس المساء

لكنه العمر القصير:

رحم الله الحسين!

رحم الله الحسين!...»

(صور في: ٢٠٠٣.٤.٣٠)

حروف مهملة
على
قبريلا شاهد

** عتبة **

(الشّعور ذاته، نفس الإحساس بالفجيعة، وربّما الانتفاء
كلّما فرغت من كتابة قصيدة ما، الخوف، أو هوربّما اختصار
لذلك الكمّ المتوحّش من مشاعر لا أملك أن أعبر عنها كلّها
بما يحيط بمراميها من الصّفات والنّعوت، فأكتفي بالقول
«إنّ الخوف»، وهو في الحقيقة أكبر من الخوف، وأعمق من
الفجيعة، وأنكى على القلب من جراح الخطيئة... الرعب،
رهبة دائمة في مواجهة مجهول ما، مجهول الكلمة القلب،
الخلب، دائما ترصد للغواية، فلا تمكّنك من نفسها، ولكّنها
تشدّك إليها دائما، بطرفها المغناج، بسحرها الفيّاض،
ونشوتها الثائرة، تدعوك عن رغبة، تثير فيك مكامن الداء،
فإذا ما تمكّن منك الإغراء، ودوّختك الرائحة، نأت عنك
ونبت، هي تدرك أنّ في الامتلاك هلاكها، وأنت تعرف أنّها
طلبتك التي ما تنفك عنها، حتّى تزرع فيها داءك الكمين،
وتطوّع المهرة الحرون فيها، وهميات، فتلك لحظة لا تدرك،
وذلك أرب عزيز المنال، الفاتنة، المرماح، الههفافة، الزائقة،
العذبة، تريد لنفسها أن تتجدّد دائما، أن تكرع من ذلك
الرّحيق العذب، نسغ الحياة، فتكون الأنثى الواهبة. الموهوبة
على الدوام، شباب الكون المتجدّد، لحظة أنوثة طاغية، وعلى
الباب ضحية جديدة تنتظر لحظة الدّوبان والفناء، وأنت في
كلّ الأحوال نفس الضّحيّة، وكلّ الضّحايا، وآخر الضّحايا،
على عتبة عشقها المجوسي!!)

.١.

لم أقل يوماً بأني وطن...
لم أقل شيئاً عن الأرض التي راحت،
عن الجرح المفخّخ،
عن صهيل البرد في عيني محمّد،
وهو يحبو خارجاً من بعض سطر.
قد تلتته الأغنيات، ذات فجر،
في قباب من نحاس،
في حنين عابر.
داوياً.
مثل الرصاص!!
يا محمّد،
كم كبرت!!
أنت وحدك، يا محمّد!!
يا محمّد،
كم بكيت!!
أنت همس الجرح،
نبض القلب،
ما قالته أحجار الجليل إلى الجليل،
أنت ما أعطته أمّ كي يموت،
ولا يموت...

. ٢.

(يا محمّد
يا معمّد
يا محمّد
يا مصمّد)

. ٣.

لم أقل يوماً بأني هارب،
من ألف وجه .
من نشيد الجرح،
من ألف انهيار،
مدني أعطيتها، بادلتها،
لكنتي أحببتها!!
الله يعلم أنني أحببتها،
ووهبتها طفلي محمّد...
آه من عيني محمّد،
آه من أحلامه،
ومنامه، حين أغنّيه،
فيمتدّ على عمري،
أراه ينهنه وحدتي، ويقول لي:

كم...
كم أحبك، يا أبي!!
كم أرى في بعض صوتك سمرتي!!
كم أرى الأرض،
فأعشق ما تبقى من تراب الأرض،
أعشق ما تبقى من تراب القدس،
من حلم رأينا،
وأحبنا،
كتبناه على ربي السنابل، وانتشينا إذ رأينا...
ما رأينا، يا محمد؟!
قل، حبيبي، قبل أن يقات منك الموت،
ترديك الأيادي،
يشتفي منك الرصاص!!
يا محمد،
درّتي
وردتي،
زهرة أحببتها من بعض عمري،
من حنين يحمل الأنغام عني،
من يريد يكتب الأشواق للبعض المسافر،
لبقايا الأرض يمنعها الجنّة،
فتختفي في ثوب من مرّوا على جرحي،
وجرحك، يا محمد!!

.٤.

(يا محمّد
يا معمّد
يا محمّد
يا مصمّد)

.٥.

قل:

ما رأيت؟!
رأيت بدرا!!
قل: ما رأيت?!
رأيت شمسا!!
قل: ما رأيت?!
وكواكبا،
والأرض أرضي،
والسماء هي انتمائي،
قد رأيتني في الشوارع،
والحجون،
وفي الفصول،
أرى الأحلام تزرعني

مثل الخزامى على الرّصيف،
وفي بيوت تذكر النّهر
الذي كان انتصارا للمظفّر!!
آه، كم أحببته ذاك المظفّر!
كم تمنيت بأن أحيأ لأصنع درفتي .
ممّا تبقي من حفيف نعاله!
وأسافر/
في نشيد كلامه:
.للأرض لون الوجه،
في الأرض سرّ الانتماء،
ومن يبيع العمر باع الأرض،
من يعطي ولو شبرا يموت!!

.٦.

(يا محمّد
يا معمّد
يا محمّد
يا مصمّد)

(اللّيل تحطّم في جسدي، أويت الشّمس، تدرّبت على الشّوق كثيرا، وفتحت القلب، فرشت الباحة بالأغصان، أضأت الشّمع لمن يأتي، وآتي، أرى الشّبّاك يثرثر، من يسمع هذا الشّبّاك، الغائر في القلب، من يترك بيتا، بابا، يفتح، يغلق بالمرتاج، ويأتي الأولاد سراعا، يمضون من النّظرات، إلى الوجه المفعم بالبسمة، يفتكّون الأشياء، فيضحك هذا الآتي من القلب، ويسأل عن قلب آخر في البيت، ومن يأتي ليسأل هذا الشّبّاك عن الأرض الأخرى، ونخيلة عمر لا تطرح غير الطّلع، لأنّ النّهر تلعّف بالليل، وحاك الدّيجور على عجل، كي يلحق بالفجر الزّاحل في سيف الرّكاب، للقدس المنسيّ، كي يسمع آيات الشّكر، يرى أمصار الشّرق، تسارع في الأهبة، تفتح أبهاء العرس، لهذا القادم، ما سرّ القادم؟، ما سرّ الأمصار، وهذي الأيدي، كأنّ بها مسّا، أو طيفا يخبر عن آتي الأشياء، يقول الأسرار، ويعلن عن فتح الأسماء، وأوطان الأشياء؟... ياه، الوقت يدور، وما مرّ محال يرجع، لكن يبقى القلب يثرثر للشّبّاك، وينظر من خلف الجدران، إلى النّخل الهفّاهف، يغازل نجمات، جنن إلى السّعف، المتهدّل، يسمعن القصّة، يبكين طويلا، يعطين الفارس قطعة خبز، بعض التّمرة، ويجلبن من النّهر، وعاء الماء، يضعن الأشياء وهنّ يرتلن الذّكرى على خجل، يمتدّ اللّيل فتريد الشّمس، ومن بين الظّلّة. في البعد.

يقول الشيخ هناك، على رأس القبة، هذا الخبز، وهذا التمر، وهذا الماء، كلوا من ملح الأرض، لتعطوا الأرض غدا من ماء الجسد الملتاع، من دم النسبة للأقصى، ومن عمركان يهيم من الذكري إلى الذكري، ومن يافا إلى حيفا، من قدس الله، إلى أقصى الباحت، من المقهى إلى المقهى، مني، من صوتي الضارب في أصل الساعات، أنا القادم في الليل، وبعد الليل، وفي غسق، لا أعرف لي أرضا غير الأرض، ولا لونا غير اللون، ولا أمّا غير الأمّ، ولا بيتا غير القابع أشلاء في العتمة، باسم الحلم المدسوس علينا في كتب أعفاها الله من الحرف، فكانت نفثات من بعض جنون، هلوسة، وكلام هربه الأحبار من الماء إلى الماء، في بطن لا تشبع، في صكّ، في أدب مخبول، في سيف يقتل كلّ الأحياء، وكلّ الصبيان الآتين من الوجد العربي، وكلّ الأحزان، تقول امرأة تحمل طفلا: جاؤونا، هجموا في الليل، كما القطعان، وقالوا سندمرّ هذا البيت، باسم الأحكام المنصوص عليها من الهيئات العليا، تحقّزنا، تنمّزنا، ولا شيء نقاتل فيه، ولا حجر، لكنّ البيت هو التعب، هو الأنس من الوحدة، من غدر الظلمه... تحكي امرأة، يبكي الوجه بلا دمع، والطفل المدسوس ينام، ويحلم بالبيت، بالقطن الناعم، بالأرض، وحمل الحجر السجيل، تحكي امرأة، أجلونا، ساووا البيت بطين الأرض، قالوا غدا يأتي السادات ونأتي، كي نحمي الحلم، وأرض الأجداد، نحمي التوراة، وهذا التلمود، وهذي الآيات: (فمن يحمي أطفالا رضّع؟ من يعمر بيتا، ويقوم على زرع مهمل؟ من يتلو القرءان على المنبر؟ من يعلن أنّ الله له الأسماء الحسنى، والقدس يظلّ نيرانا في مدفع؟)...

.٨.

(يا محمّد
يا معمّد
يا محمّد
يا مصمّد)

.٩.

لم أقل، (القلب
وحده
يحتسي خمر الوداع!!)
سأرى إن كان يجدي سفري،
إن كان يجدي ما اعتنقت من العروبة،
من نشيد كُنّا صنّاه،
ومن بعض الكلام.
لم أقل...
لكنّني آمنت بالأرض السليبية،
بالجروح، وبالقروح،
ومدائن ما زلت أعرفها،
سأذكر أنّي أحببتها
وحفظتها

وكتبتها .
في محكم التنزيل
واللغة التي أعطت كلاما للجراح ،
اللغة التي أعطت سناها للمدائن :
للجليل ،
وللعيون ؛
... اللغة التي سمّت تراب الأرض ،
كانت رحلة في كلّ صوت ،
آية في كلّ مسجد ،
ضحكة في كلّ مقهى ،
وحنينا هادئا في كلّ ثغر
من ثغور سوف يقتلها الرصاص...؟!
آه ، يا طفلي ،
آه ، يا حرّ الفؤاد!!
يا غربي من بعد رحلتك الأخيرة!!
آه ، يا عيني محمّد!!
كم تمنّيت امتداد العمر
كي تحيا وتحيا الأرض فيك ،
والدروب ،
والسنابل ،
والغروب ،
والقصائد ،
واحتجاب الشمس خلف القدس ،

والصّوت المسافر في الحنين: »
الله أكبر...»
آه من عيني محمّد!!!

. ١٠ .

(يا محمّد
يا معمّد
يا محمّد
يا مصمّد)

. ١١ .

(مدن ،
أباريق ، وكأس ،
والطّريق ؛
بالأمس ، أعطوني الجواز ،
شربت من كأسي ،
وغنّيت العتابا .
في نحر الغيد ،
كنت أنا . بقايا من تراب قد تدرى ،
وبقايا من زجاج قد تكسر ،
كنت شيئا واحدا ،

لا أرض بعد الآن،
لا صدر يلوح على المرائي،
غير منديل تمزق،
غير صوت قد تعرّى في دمي:
الآن تذهب لن أراك!
الآن تعطي القادمين...
تعطي الرّاحلين حدادهم،
لا شيء يأسى كالجواز،
لا شيء يبلى كالثياب،
وغدا تصير الأرض بحرا،
والسراب هو السراب،
وغدا تغني للندامى ما تبقى من عذاب،
تحكي لهم من قلب قلبك كل شيء:
صمتك المشبوح،
رؤياك الغريبة،
فارسا يأتي من النّار البعيدة،
يهرق النّهران دما لا في جراح الطّيبين،
في جراح ملّمت كلّ الأغاني؛
هل ترى الكأس التي أمسكت؟!
هل كانت يداك تمهد الأنخاب للكأس الأخيرة؟!
هل رأيت الخان في رأس الطّريق،
مشيت خطوتك الصّليبة للكراسي،
واستبحت لك المكان؟!
استبحت لك المكان؟!
استبحت لك المكان?!

. الوقت شيء آخر، يحلو الوادع على سراب الشّاي،
أترية الشّوارع والدّخان، أحببت «كارلا»، كانت الأنوار تأتيك
الهيونا، تنتشي بين العبور، تقول شيئاً، تضحك الأشياء في
المقهى، غدا نفس المكان، نفس الأغاني، والسّلام... «كارلا»
تراك، فتختفي، لا تسأل التّدمان عنها، لا تقول لهم بأنك
صرت شيخاً ضالعا في الحبّ، «كارلا» دائماً في العين، في
الكأس الغريقة، في السّكون، وفي المعاني، والهروب، ستكون
آخر ما تبقى من تراب الميّتين، من هفيف الرّيح، من شمع
العذارى، وبقايا اللّحن تسكبه الميجانا، من صليل التّهر،
والسّيف المظفّر...

. ١٢.

(يا محمّد
يا معمّد
يا محمّد
يا مصمّد)

. ١٣.

لا دمع يكفيني .
بكيّتك، يا محمّد
(في اختبائي)

.١٤.

.يا حبيبي،
ليت لي بعضا من الوقت الأخير
لكي أقول لك الوداع،
لكي أقبل وجنتيك،
لكي تقول:
.صنعت لي نجما من النور الشفيف،
وجزت بي أرض الحكايا،
كنت أعشق ما تقول،
وكنت أجعل من نجومى باقة للورد،
أهديها السلام...
آه من الورد المعطر،
من نجوم القدس،
من أرض تؤثث كل شيء،
تغزل النور المهاجر في الدروب
على رؤوس الياسمين .
على ثغور العابرين؛
هل كنت تعلم أنّ نجما فاتنا
يدمي الحنين؟!
هل كنت تعلم أنّ نجما فاتنا
يرتدّ سكينا على مرج الجبين؟!!

هل كنت تعلم أنني أحببت هذا النجم،
لكن النجوم تملأ السيف الدخيل
وتحتمي بالحكمة الرعاء،
كي تمتد في جسدي رصاص؟!
(النجم آخر ما أرى
النجم أول ما أرى
النجم أول ما أحب
النجم آخر ما أحب،
وإن تغلغل في دمي،
وإن تعثر في حنيني،
إن تبعثر في انسكاب الجرح،
إن أغوته أرض الرب،
أردية المسوح،
وثارات الرصاص)

.١٥.

(يا محمد
يا معمد
يا محمد
يا مصمد)

(... أنا من دم، من حنين، وبعض من الشّوق، من بعض حزن، وشيء مقبوت له طعم حنظل، له ألف اسم، وألف مزاج... أنا مثل كلّ الذين يمرّون في صمتهم، يحلمون بأشياء لا تعجز الحلم، لا تتعب القلب، لا تنتمي لحطام الخطايا، ينمّقها المذنبون بألف لسان، وألف بيان، لكي يجمعوا تاجهم فوق قبر الحزاني، لكي يصنعوا من رفات المضاعين شمسا تضيء سماء القصور... أنا. سادتي. واحد، لومررت، ولو متّ، لا يتغيّر في الكون شيء، ولا ينتهي الوقت، لا تنطفي شعلة الشّمس، لا الأرض تحزن، لا شيء يوقف مدّ المسار، أنا إن مررت كألف، كمليون شخص، كمليون مليون شخص، ولكن لي مضغة، غصّة في الفؤاد، وبعضا من الدّمع أسكبه فوق قبر محمّد... محمّد طفلي، وبيت بلا خطوة من خطاه، ولا ضحكة من حنايا فؤاده، لا همسة تستردّ التّثامي، ولا صبوة من خريبر صفاه، هو القبرينكأ كلّ الجراح، يذكّرني أنّي واحد إن مررت، وإن متّ، لا يتغيّر في الكون شيء، ولا ينتهي الوقت، لا شيء يوقف هذا الدّوار... سأسألكم. سادتي: هل رأيتم صبيّا برأس الطّريق؟ وهل كان يضحك؟ يلعب؟ أم طار مثل السنونو إلى مرجة في الجليل؟... سأسألكم: هل رأيتم غلاما كطفلي محمّد؟ وهل مات منكم كطفلي محمّد؟ وهل شاخ منكم كطفلي محمّد بحقد الرّصاص؟... سأسألكم، مرّة

ومرارا، ألا تدمع العين، لا يدمع القلب، حين أراه على ركبتيّ،
يوذّع قبل الرّحيل، هداياه، كلّ قطاراته، وبقايا خصام مع
الصّبية الطّيّبين، مع النّسوة الضّالّعات بحمل الهموم؟...
سأسألکم عن جليل محمّد، وقدس محمّد، وخيل محمّد،
وسيف محمّد، وطائرة تختفي بنداء وصخر محمّد!!)

. ١٧ .

(يا محمّد
يا معمّد
يا محمّد
يا مصمّد)

(صور في: ٢٠٠١.٩.٢٠)

- انتهى -

تغريبة التّيه والخروج

* الإهداء *

للذين أوليتهم حيي ، ومحضتهم الودّ الخالص
والوفاء الذي ما له حدود، فلم يفهموني، وقالوا
وقالوا... واتهموني! إليهم أهدى هذه الأصوات...
هذه الحروف... هذه الكلمات... هذا الديوان!!



* تصدير *

كان الصّباح الرّطب يغسل في المدينه
وجه الشّوارع بالضّباب
ويضيء أغنية حزينه

- سعدي يوسف -



**** وحدك ****

وحدي،

هنا...

بيني وبيني،

أسبق اللحظات،

أعدو فتسبقني الأغاني

والمدائن... والمعاني!

وحدك، الآن! اضطجع مثلي،

ومثلي كن نبياً في مواويل القيامة...

متعبا ومبعثراً /

هذا الطّريق هو الطّريق،

ومن يمرّ يعتق الصّمت الموارب؛

هذه الكلمات صمت آخر،

والعابرون على دمي قلق يحاذرأن يرى في اللّيل /

طقطقة الثّواني.

**** كلمات ****

مرّوا يعدّون كم قلقا مضى،
كم ليلة في صليل الحزن جابت تقاسيم الكلام،
كم مرفأً للمساء المرّ في حدق الظلام،
كم رحلة،
كم مهرجان.
مرّوا عليّ؛
نأت ممالكي مثلهم،
صحا الكلام على الكلام.

** من؟ **

. ١ .

من يطرق الصّمت ليلا؟
من يفاجئني مساء تشرّد في السّراب؟
هذا المدى؟!
أم طيف لؤلؤتين؟!

. ٢ .

من يكتب القلق الممتدّ في وهي؟
من يطفئ الشّمع ذوبا بين ذاكرتي؟
من يرتج القلب بالسّرّ القديم:
هتاف من ضريح المدى
عاقرت فيه ضفيريّتين من كحل،
أم بحر عينيك:
يا بحرا لعينيك...
هذا البحر أورك نورسا؟

.٣.

من يطرق الصّمت ليلا؟
من يللمني...؟
من؟!؟!
أذكر الآن أنّ البحر عانق عمق البحر،
والشّاطئ المطروح خلف نوافذي
مدائن تأتي...!

مرّت المدن القديمة،
أطلقت صمتي هديلا،
والمدى...
من صراخ القلب جمّع نجمتين.

**** ترانيم ****

. ١ .

رحيل السفائن ليلا،
بلا أقنعه؛
هديل القطا،
والمدى...
مرتع للجنون الأخير.

. ٢ .

رحيل تشكّل في ضفّتين؛
وخلفي:
تتبّعت خيط الحنين...
بقايا رأيت الشّراع أمامي
تمدّد في سلّتين
على زخرف اليمّ.

.٣.

كأس...
ندامى...
على وشوشات الشموع
يصيرون شمعا وشالا.
وأنت التّديم،
ولا كأس...
هذي السّواحل تسقيك...
هذي السّواحل ظمأى.
ولا بيت...
هذي الشّوارع تعطيك...
هذي الشّوارع مثل النّوارس:
تهرب من لونها القزحيّ
إذا الصّمت مدّ على الماء صكّ الوفاة.
ولا أنت أنت؛
رحيل على الرّغم منك،
رحيل...
هديل القطا،
والمدى...!!

**** جدارية إلى حبيبي ****

. ١ .

سأنأى، حبيبي... سأنأى
ويزرعني الجرح .
في لحظة الانتشاء .
عبورا لمملكة الامتناع ،
وشوقا لمن يرحلون عليّ...؛
سأنأى .
النهار اختفى:
فكرة في خطاي،
سما على راحة القلب حطت،
ولحظة موت تسافر في رجفة الاعتراف .
لمن هذه الأيدي تهدي المسافات؟
من ينتقيك صفيًا لمملكة الانتساب،
ويعطيك اسما لتمسي نبيًا؟!
سأنأى .
النهار اختفى
فكرة في السراب...

. ٢ .

غريق وشيش الطّريق،
غريق سؤالي على راية الأخيله،
وحيد سؤالي يوسّع في الخطوضيق المدى،
شهيد تمزّقه رقعة الأجوبه...

إلهي...
محوت الزّمان بقلبي،
نسيت بأن المكان تغلغل في رحلة الرّوح،
والميتّين هم الميتّون،
وأن المواعيد تبدأ من غفوة العين،
والأغنيات صدى للبعيد... البعيد!

إلهي تجلّ...
تجلّ.
فما مدن الصّحو إلاّ انكسار،
وما عشق من توجّوني نبياً
سوى رحلة القلق الأدميّ
تباعد ما بين خطوي وخطوي،
وفي الصّمت...

في كلّ همس تهددهه الرّيح،
بين غبار المساء .
الذي يحضن الشّمس في الذاكره...
خلف ظلّي أراه ورائي تماما،
يهرب مملكة الياسمين .
إلهي...
بقلبي مدائن من ورق قزحيّ،
بقلبي سفائن قد شرّدتها الصّواري،
وبعض من الحزن...
ترنيمه للقداس القديم
وأحجية الرّحلة القادمه...

.٣.

حانة الليل ريحانة،
زهرة العائدين بأشلائهم،
يشربون سراب الشوارع،
كي ترسم الشمس تفاحة في غدير البكاء.

على شاطئ الحزن غتّوا،
وناموا على حدق الماء،
كان المضيق .إلهي .مضيقين،
كان المساء مساءين،
والعمر شمعا لنافذة الاحتراق...!

.٤.

سأنأى . حبيبي ،
سأعبر صفصافة العمر ،
أهدي المزامير للعائدين ؛
فلي قمر فوق ظلي ،
ولي الذكريات ...
سأشعر بؤابة القلب ،
أهرب من حبك المستحيل !
إلهي حبيبي :
حبيبي الهواء الذي شرّدتَه الأغاني ،
فعاد نبيًا .
حبيبي المساء الموارب في ساعدي ،
حبيبي المدى خلف عيني ،
وحبي رمال الشواطئ في راحتي .
فممن سأهرب ؟
فيمن سأزرع صمتي إذن ... ؟
... للمدى ربّما ! لخريف يمرّ على شرفة لا تنام ، لبيّارة
البرتقال ، وعشرين صيفا يعانق زقزقة الأبحوان ...
مساء العبير ... لقلبي ؛
مساء الضياع وراء الظلال .

مساء إليك، وللصّمت ألف مساء.
سأذكر أنّي نفضت ببوابة القلب حزني،
سأذكر أنّي أضأت القناديل،
جمّعت من فلق الصّبح ساعته الأولى،
وأهديت للنّخل آخر الكلمات:
. أحبّك ريحانة لحبيبي؛
أحبّك...
أقسم أنّي انتشرت امتدادا لظلك،
وأنيّ ابتدأت النّشيد.
الذي يسبق العشق /
في درب حبّك!!

. ٥ .

مواويل من ألف عام... جفونك!
بيدر عطر يعانق حرف القصيدة،
يهرب من لحظة الوحي في السرّ،
يزرع ما بعد بدء لتفاحة العمر...
من ألف عام، وعبارة الرّوح بحر،
وبحر، وبحر...
ومن ألف عشق، يموت الكلام ليحيا الكلام،
ومن ألف سفر، وليل الخريف يؤرّخ للذّكريات،
يهرب من جفنك المرمريّ كؤوس الخزامى،
ويمهدي الندامى سماء تضيع بخمر /
على قبة الماء.

لن أسأل الرّوح عن شكلها،
لن اسرق من نجمة البحر غير النّهايات،
كي أحرق المدن الملتصقات بكفي طويلا،
وكي أعتلي نعل اسمي،
وأفرش في باحة القلب زربيّة الانتماء.

.٦.

لنا، يا حبيبي، المدى...
ما مضى من خريف يعبّ المدائن،
صيف لنا... ربّما! أو شتاء.

لنا، يا حبيبي، امتداد النّخيل،
إذا الشّمس ملّمت البحر بدءاً،
وبابل أغمدت الرّاح في الرّوح
كي يعتلينا الجنون. ولو مرّة واحده...!
ما مضى سوف يمضي،
ونمضي، حبيبي،
لأنّنا تراودنا النّجمة الشّارده...
كلّ شيء يوحد أشلاء روحين /
في نقطة واحده.

ما مضى،
خيمة للرّحيل المفاجئ،
دزّاقة للحنين،
نشيد يردّده الموج
حين يفتح في القلب ظلّ أخير.
وأنت حبيبي،

بقايا بريد تشرّد في مدن الماء،
واغتاله الفجر ليك...!!

**** سفر... وبعد! ****

. ١ .

قلبي على كفّ
وكفّ تفتح الشّبّاك /
للقلب المسافر في السّراب.
قلبي على كفّ:
يسامر نجمتين،
وبعض أغنية...

قلبي:
أيا كفّ اعذريه...
ببعض صمت آخر،
ودعي الكلام...
لبعض موت آخر؛
فالقلب إن ملّته أعقاب السّؤال.
يشاكسه الجواب.

. ٢ .

قلبي...
وأصرخ: أين قلبي؟
أين قلبي؟
أين كفّ تسند الذّكرى /
بتمتمة قديمه؟
أين بدء البدء يخفيني؟
بثوب الحرف يخفيني؟!
بعين الشّمس يحبلني شعاعا
لم يغطّ (ي)ني؟!
بأعياد القبيلة والتّنائي؟!
لست قلبي...
فاحترق عني بعيدا.
لست قلبي...
إن أنا أوغلت فيك
ولم أرك.
فلتحترق /
ولأحترق!!
فرمادك العنقاء يزرعني انتشارا
كالجنين.

وأنا الجنون... أنا الحنين،
فلتحترق عني بعيداً:
أيها المجنون
من ماء
وطين!!

.٣.

قلبي
/و/
كفي
رحلة تمتدّ خلف الموج
مجذاف يترجم عن وشيش الشمع:
ركن الحان
لون الرّمل
ترنيم السّفر!

اقرأ بقلبي... للبحور السّبع /
قلبي.
اقرأ بقلبي... للبحور الكلّ اقرأ
من كتاب الموت للموت انكساري
واعتر(ي)ني مثلما الموج اعتراني:

همسة لليل
للقلق القديم:
يوسد القنديل شبّاكي،
ويكتب من دموع الرّيح
في الدّرب

بأني قد رحلت
وملمتني الرّيح
أكفانا وموتى!!

من رأني في الصّليب
بعيني الأخرى،

مسيحا:

حامل الأخطاء

عاري!؟

من رأني بين كفي،

واحتراق النّجم

في شعر النّخيل الليليّ

يمازج الشّهوات والعاهات،

يقعي مثل كلب الكهف:

عين في مضيق الشّرق /

والأخرى...

اغتراب

يرقب

الفجر

المصادر

في عظامي.

اقرأ بقلبي...

ما تيسّر من جنون الشّرق. يا...

شرق الرّواحل:

يحبّل الصّحراء حرفاً

كي يقيها العقم

والسّجن المؤبّد في قراري!؟

إيه، قراري المعمود بالصّمت:

لماذا تبعث القنديل من قبيري!؟

لماذا تسكن الأوطان والنّسيان (... خوفي!؟

خوفي الباقي

بشطان الرّماد.

وشطحة الصّوفيّ

يبحث

عن

شروخ الرّوح

في

ذات /

الصّوّاري!!!

. ٤ .

شاطئي مرّفته
وضفرت منه دفتي وشراعي
الممتدّ...
ألقيت العصور على جسوري،
واحتقنت الحزن
في شبه القمر.
تلك المدائن والعرائش طلّقتني،
ذلك المصباح مسكوبا على خدر الزوايا،
والفراغ بربطة العنق الجديدة:
ربعمهم (...) بل كلّهم /
كتبوا نشيد الصّلب
واعتنقوا النّشيد!!
مازلت أذكر...
أنّي عراهم،
والربّ يذكر...
أنّي حرف تبعثر /
في البداية والنّهاية.
لم أحن رطبي الجنيّ،
وما مسخت ولادتي أبدا...
لعلمي:

أَنْ أَنثَى غَيْرِهِمْ
كَانَتْ تَعَلَّمَنِي الشَّهَادَةَ.

مَا مَسَخَتْ وَلَا دَتِي...!

لَمْ أَنْتَصِرْ فَيَكُم.

وَلَكَّتِي...!

طَوَيْتَ عَلَيَّ وَسَادَ الْحَرْفَ فِي سَفَرِ الْخُرُوجِ /
مَسُوخَكُم.

فَلتَهْرَبُوا مِنْ سَبْتِكُمْ وَمَسُوخِكُمْ:

إِنِّي أَنَا /

فِي حَرْفِي الْمَكْفُوفِ فِي الصَّلْبَانِ /

أَضْرَمْتُ نَارَ السَّامِرِيِّ،

كَتَبْتُهَا /

أَلْفَ الْخَوَارِ.

فَلتَشْهَدُوا...؟!!

لَا أَرْضَ بَعْدَ الْآنَ لِي.

لَا بَيْتَ لَحْمٍ كِي أَسْلَمَهَا الْوَصِيَّةَ،

لَا جِدَارَ...!!!

كَلَّ الْجِدَارِ (...). وَكَلَّمَهَا:

الْأَرْضَ الْعَقِيمَ ضَفَرْتُهَا /

فِي دَفَّتِي.

لَا بَيْتَ لَحْمٍ كِي تُوَدِّعُ طِفْلَهَا.

لا بيت لحم كي توّدع...
لا بيت لحم كي /
أراها:

ثاني اثنين
خرافه...!!!

.٥.

يطفو إناء الذّاكره
يطفو الإناء /
يعانق الموج الغريق...!!!
نفضت ذاكرتي... طفت.
ونفضتها /
فانساح خوفي
بين جسر
الذّكريات.
غرق في الغرق الأخير،
رأيتي غرقا /
تشبّته الجهات.
رأيتي خلفي تماما /
بين أكفاني /
تجمعني الخطى....

اللَّيْلُ خَلْفَ اللَّيْلِ
بَيْنَ اللَّيْلِ:
أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلشَّارِعِ الْمُنْسِيِّ،
أَغْلَقَ كَوَّةَ /
زَرَعْتَ عَلَى الْجِدْرَانِ /
مَمْلَكَةَ الشَّرَاعِ.

.٦.

يُطْفَوُ إِئَاءَ الذَّاكِرِ
يُطْفَوُ الْإِئَاءَ /
عَلَى مَخَاضِ الصَّمْتِ...
أَنْسَانِي
/و/
أَنْسَانِي:
قَلِيلًا أَوْ كَثِيرًا.
ثُمَّ تُطْفَوُ مَرَّةً أُخْرَى، حُدُودَ الذَّاكِرِ.
يُطْفَوُ الْإِئَاءَ /
مَعْلَقًا بَيْنَ التَّتَمَّةِ وَالْوَدَاعِ...
رَأَيْتَهُمْ خَلْفَ الْمَنَادِيلِ الْمَعْوِقَةِ:
دَمْعَةَ حَيْرِي
وَعَيْنَا غَافِلَتْنِي

كي
تكون اللّيل في /
سفر الضّياء!

رأيتهم عبري،
وقد عبروا /
على الجدران /
أغنيتي...

أنا القتل
أنا المقاتل والشّهيد...
رأيتهم عبري /
اختصارا للجنون...
فمن يغامر في الجنون عدالك...
يا شبه القتل!؟

أنا القتل /
رأيتهم صلبوا القناديل الأخيرة،
فانسلت أعدّهم،
وأعدّهم،
ثمّ انسلت أعدّهم،
وأهأهم.
أغلقت نافذة السّكون،
أضأتهم حولي... ونمت!!!
رأيتهم خلفي تماما /
بين أكفاني /

تجمّعني خطاهم...،

اللَّيْلَ بَيْنَ اللَّيْلِ:

أُنْثَى...
...

اللَّيْلَ بَيْنَ اللَّيْلِ:

حَمَى...
...

اللَّيْلَ بَيْنَ اللَّيْلِ:

ضِدِّي

لَا

مَعِي...
...

وَأَنَا الْمُقَاتِلَ،

سَوْفَ أَلْبَسُنِي انْتِمَاءَ /

لِلشَّرَاعِ... وَلِلشَّرَاعِ

وَلِلرِّيَاعِ...
...

وَأَنَا الْمُقَاتِلَ،

سَوْفَ أُنْأَى /

مِنْ قُرُوحِ الْجِرْحِ...!!

قَالَ: «نَشَدْتُكَ اللَّهُ أَنْتَظِرُ...!

مَازَالَ قَلْبِي لَمْ يَمِتْ حَيًّا،

وَكَفِّي قَسَمْتُ نَبْضِي عَلَى

عَدَدِ الْغُصُونِ.

فَلَا تَمَتُّ...!!!

مَازَالَ قَلْبِي يَرْتَدِي:

الشِّبَاكَ /

والقنديل...

لا.

ما زال قلبي وردة الصَّبَّار

/و/

المدن العتيقة؛

لا تمت...!!!»

.٧.

ناديته من كومة الأسماء،

من هرب الحروف /

مدائنا أخرى.

وفي هرب الحروف:

جمّعه اسما لذاتي /

نجمتين

/و/

مرصدا.

من أنت؟!!

من ألقاك في سفري انتسابا؟!!

لم تعد مدني:

حسابا

أو

عقابا!!!

كلّما أضرمتها حصب الحصار
وظلقة نامت /

على وسن الجدار.

اللّيل خلف اللّيل:

أعمى.

اللّيل خلف اللّيل:

حمّى.

اللّيل خلف اللّيل:

علّق نجمة كانت

وكانت حلمة.

اللّيل خلف اللّيل:

عانق وردة كانت

وكانت غريبة

ثمّ اغترابا...!

. ٨ .

اقرأ من السّفَر الأخير/

لمرفأ العشق الأخير:

هنا المدائن أودعتني /

سرّها...!!!

وهنا المدائن شكّلتني /
من هجير الشّمس
أحجية المسافر
في الظّمأ...!!

وهنا المدائن،
فلتلمم شكلها الباقي.
سأذكر أنّي خبّأتها،
وصنعت منها زورقي
وشراعي.
اقرأ بقلبي (...) بعض سطر الخاتمه.
اللّيل إثر اللّيل:
يعدو
ثمّ يعدو/
كانت المدن العتيقة تسحب القنديل
/و/ الحان القديم
رأيتها تمتدّ كالعنقاء /
من خلف الصّواري...!!!

.٩.

اقرأ، الآن، النّشيد على جماع الوقت:
يطفو الشّارع المنسيّ
مجدولا على حدقي

رضيعا فوق كفي،
شقت المدن العتيقة راحة المجداف
أعتابا بقلبي،
واحستت شبه القمر.

الشارع المنسي...
لملم آخر الخطوات،
واحجبت مياه البحر أغنية /
تهدهدها المراسي.

جزت ذاك الظلّ من ورم العشيرة:
عانقتني سمرة الوادي /
ومملكة العراء:
حفنت في كفّ الرمال /
ملاءة سوداء:

هذي جوقة الأعراس في الشرق القديم،
وهذه الصّحراء يكسو وجهها /
صهد الوجوه،

رأيت وجهي بينهم:
لم ينسني الشيخ الملقّع بالحنين.
«امدد بقايا صوتك المجهور»،
قال نديم شيخي.

«خذ بقايا شكلك الباقي،
وكن فينا امتداد الشرق /
يقعي مثل كلب الكهف:

عينا في جنون الرّمل،
والأخرى:
انسياحا بين أعلام الرّواسي.»

**** حصار المدائن مرّة أخرى ****

. ١ .

يرحل الهرب المستحيل،

وأهرب...

يمنحني الخوف وجهها جديدا

وجوع الحزاني جرابا جديدا،

وأهرب من هرب مستحيل،

أهرب مّي

وأنشغل الآن بالخوف عتيّ

أهرب... أهرب.

هات يديّ الشّراع

على مركب الرّيح تعلو.

هات

يديّ على مركب الرّيح

يعلو الشّراع

/ ويعلو،

يهرب الهرب المستحيل

وأعلو.

.٢.

من دفّة قلبي على مرفأ الرّوح
هذي المقابر...
ترس يعلّق نجما
وحلم المقاتل في الصّمت
أن يشرب العشق قبل الوداع
وأن يقهر الموت
حين يعانق جوع الحزاني
ويطفئ شمع الشّوارع،
خلف الشّوارع
ينأى
وينأى.

.٣.

من مرفأ قلبي
رأيت كأنّ المدائن
تهرب من لونها القزحيّ
وتعوي،

هناك الجراح فتوق
وترس المقاتل... أغنية للوداع.

تسافر مئذنة البحر
عشب الحنين
وصوت يشدّ الشراع على ساحة الشّمس
تلك المدائن شمسي
وشمع الفراق شعاعي
وأمسي.

. ٤ .

رأيت الذي كان من ألف عام
ضريح صبيّ
تمائم عزّافة:
رمّمت كلّ أنشودة
بين شوك الملوك،
ومغزل أمي .
على شالها الليليّ،
تمدّد...
يرتق جسرا
على ساحل الذّكريات.

تمازج خوڤي بصمتي؛
وأخر من غادر.
يفتح نافذة للسراب.
رأيت الوجوه الشّضايا،
وخيلًا تدوس الجماجم /
حول البلاط.
سكبت الخرائط حولي،
رنت سلّة الشّرق مئذنة
وبقايا.
لمن تولد الخيل؟
وعقم المدائن مثل الحنين،
يعاوده الحلم خصبا...
ولكن هشيم!!!؟

.٥.

يفرّ الفرار،
نشيد الحزاني
وراية جيش تمزّق قبل الحصار؛
تمرّ الجماجم فوق المصاحف،
أحزان من؟...

تقتفي جبّة الأشعريّ؟!!

ومن غير عمرو
تسرّيل بالياسمين
وأعطى لجوع الحزاني /
الفتات.

رأيت الجماجم فوق الصّحائف
تكتب باسم القبيلة:
ثارات قيس.

ومجد أميّة...!!!

معاوية لا يساوم:
ومن مات... مات،
لتمح القبيلة،
باسم القبيلة،
كلّ القبيلة.
ومن مات... مات.

يفرّ الفرار
نشيد الحزاني
وراية جيش تمزّق بين الطّبول،
على قبّة الشّرق
قصّت أظافرها
نخلة اللّيل؛

مرّعليّ على جبّة الأشعريّ،
بعثر كلّ الحروف؛
لماذا تلعثم هذا الكتاب،
لماذا تقمّصت اللّحية ثوب القصاص،
ومن مات يشهد أنّك مذنب،
وأنّ الكلام على سترة اللّيل
حدّ لسيف؟!!!

يمرّعليّ...
على تمرة الجرح؛
عرّشت التّمرة الجرح
صفصافة للبكاء؛

رأيت كأنّ عليّا يطلّق...
ما....
قد تولّى،
ويكتب باسم الكتاب
بأنّ الكتاب يصدقه... /
الأبرياء!!

.٦.

على صدره
بين عطر الصّحارى
على تلة في السّواد:
رنا...
لم يعد في الخيام حياء
وعرس القبيلة
كأس وحزن /
بلا أقنعه...!!

على صدره
لممت كومة السّم
ثار أميّه...
على خده،
كان ليل الجزيرة
يفتح بوابة في مصبّ الفرات:
ومن جاء يشهد
عطر دماؤك:
من جاء يشهد
من جاء يشهد
دجلة،
صمت الشّوارع:

أقطع لون الحداد /
سماءك؛

دجلة...
ما عاد للماء لون الدّموع،
ولون الأفاحي
يسافر كلّ ربيع /
على مقلتيك؛

هو الماء
. إن شئت .

دجلة:
تكتضّ من دمعتي
ومن نجمتي؛
و حين يبّلّ صوت المؤذّن /
جوع الحزاني
ويمتدّ بين العرائش،
يزرع صفصافة في العراق،
يستفيق الفرات
وتلبس فيك الخطيئة
قنديل كلّ الشّوارع،

دجلة:
مملكة اللّيل،
تكتب فيك البقايا
وتمحو على سمّ صدرك /
كلّ الخطايا.

.٧.

لمن هذه الخيل،
من ألف عام،
تهدهد ثوب المحيط؟
لمن...
كوة القلب في القلب،
تحرق لون الجزيرة،
تلقي التوافذ من رثتها،
على خفقة النخل،
بين انحسار/
الجدار.

لمن...؟!
لست غير القوافي،
وعشق القوافل
تهرب من دمعة العابرين.
ولون الجزيرة...
ما عاد للأرض لون؟!
وطعم القصائد...
ما عاد للحرف طعم؟!
سأذكر أنني
رأيت الذي كان من ألف عام

ضريح صبيّ،
وبيتا تمدّد في الماء
يتلو خطاك؛
سأذكر أنّ الفرات
تقمّص فيك المتاهة
أطلق من دمك البعث
زهر الربيع
وشكل الرّصافة!!
سأذكر...
كم كنت أذكر أنّ /
العراق بلا أقنعه،
وأنّ العراق نشيد الحزاني،
مواويل من خصلة اللّيل
تعرّش بين النّخيل.
رأيت كأنّ المدائن تهرب من /
لونها القزحيّ،
رأيت كأنّ المدائن،
بعض المدائن،
كلّ المدائن:
تأخذ موت المدافن....
تنأى /
وتنأى.

وليل الجزيرة
يفتح بابا بقلبي

ويرسم صفصافة الكرخ
حول الشموع؛
ضفيرة شعر القبيلة،
دفع العشيّة
والشّعراء،
ولم تنسك النّخلة،
هذا العراء؛
رأيت عليّا،
ولم ينقب الجرح /
ثدي الفرات.

رأيت عليّا،
وعمرو على جبّة الأشعريّ
تقمّص ثوب القصاص؛
وما في الكتاب قصاص:
هو الجرح يولد من نجمتين
ومن دمعتين
وما الجرح إلّا خرائط من ياسمين؛
رأيت كأنّ عليّا يطلق...
ما...
قد تولى.

ويكتب باسم الكتاب
بأنّ الكتاب /
يصدّقه الأبرياء...!!!

.٨.

مرايا القناديل،
في عتمة الجرح،
خيمة تزرع الجرح
أنشودة في الرماد؛
تعطرت النخلة الأزليّة،
رمل الجزيرة،
مملكة الزيفون،
على ظلّة الموت
سافر موت جديد،
حذاء السكّارى،
ممالك للخوف ترحل بين الأغاني،
وزقزقة الرّيح /
خلف المواني؛
رأيت الجزيرة تلبس لون الحداد،
وتحمل في سلّتين:
دموع العذارى،
وحرفا تبعثرين القصائد؛
مقبرة الحزن

تكره هذا النّشيد
وحقد الجماجم فوق الرّؤوس.
لمقبرة الحزن
ما بين حزني
حذاء الصّعاليك
في خمرة اللّيل،
والخيل في مسقط البعد
ترقب جوع المسافر...!!

دجلة:
هل تذكرين...
المواني
وعشّ العصافير،
مملكة العاشقين...؟
وهل تذكرين شذوذي
وليل العراق
وقافلة خلف جسر السّراب
تغّي
وتبكي...
وتبكي /
فتبكي العصافير
بوابة القلب
والأغنيات...؟
وهل للمدائن...

ما للمدائن...؟
بوابتان
وأشربة طَلَّقَها الخرائب،
دجلة /
والماء /
قاني...
أدونيس يعرف جرح الربيع،
ومن ذبحوه.
عليّ... تقمّص تراب الجزيرة،
هذي الجزيرة
تلبس فيك الحداد
ولون الأفاحي
ومملكة العاشقين...!!

.٩.

جراح...
شراع المدائن،
والريّح جرح
وجرح المدائن
ريّح شراع،
ويفتح قلبي

شبابيك قلبي:
يسافر من جاء قبل الأوان،
يسافر دفاء العشيرة
والشّعراء؛
قداموس لليل
والليل للحزن
والحزن للشّعراء.
قداموس يأتي
ويفتح في القلب صيدا،
رأيت الموائئ في البحر
رأيت المنارة تلثم ثدي المحيط
وتلقي بكارة صيدا
على ماء صيدا؛
من المشرئبّ بعمق الصّوّاري؟
من القادمون بوجه الحنين
وعطر الأغاني؟!
هم القادمون،
هم الدّم أورق عطرين:
عطر الجليل
وعطر الرّصافة؛
من ألف عام،
وضوء القناديل،
سجّادة النّخل

تفتح بابا بقلبي،
تهدهد ثوب الجدار
وتعلق بالحرف بين القناديل.

ينساح قلبي
وأكتب دندنة الشَّعر /
في قفل كلِّ النَّوافذ /
حين يغافلني النَّوم /
بين الشَّوارع:

صيدا،
صهيل المراسي
ومولد صور؛
من القادم /
المشربِّب بعمق الصَّواري؟!!

قداموس...
هل أخبرتك الحقائق في التَّيه،
أنَّ الحقائق في التَّيه /
تزرع مولد عرس جديد،
وأنَّ القبيلة،
تلو القبيلة.

ترحل بين الجدار
وبين الرِّصاصة.

١٠٠.

ممالك،
بين الحقائب،
تستلّ مفتاحها الأثريّ؛
تمور المدامع ذكري،
ويحجب باب المدينة ضيق المضيق،
خرائطنا طلّقتنا،
وقصر الحمام
صوّب عصفورة في مطلق الجرح /
مات.

سيبيك سرّ السرير،
وطلقة صوت الرّجولة
في شال أمك؛
ها أنت ترحل في شاطئ الرّمّل؛
والرّمّل مرّ.
ها أنت ترحل في دمعتين؛
ومن سلّم الكشف قطعة حلوى
وأعتق نعش الجراب
على وشوشات الدّموع،
يطلق. مثلك. صكّ الرّجولة.

يبكيك قصر الحمام،
تبكيك زيتونة:
لاعتبها أميمة،
سمّتها عرسي.
تبكيك زيتونة
جرّبت حمّها الطّفوليّ.
مثل العرائش في قطرة الفجر
تحضن خوف الجريح،
وخلف المراكب
تنثرشوك العتاب.

ومملكة البحر،
من ألف عام،
ومملكة البحر:
تحرق كلّ المراكب
تفرش للشّمس،
في القلب،
كلّ النّوافذ:

غرناطة المتعبين،
لمن تحضنين
. على الشّمع.
دفتر عشقك؟
من تحمّلين على وجنتيك؟

ومن...
غيرك . الآن . تنتظرين...؟
ممالك،
بين الحقائق .
بين الخرائط .
بين الممالك .
في دمة
صوّبت عمرها
في سجلّ القصص؛
بياض الزّفاف،
وهذي القناديل...
من أوّل الفاتحين؟
ومن آخر المبعدين؟
بياض الزّفاف
هو الدّم
تذكرة الاعتراف.
رأيت المضيق،
الموانئ،
والخوف يعلو الصّوّاري،
حقائب تهرب من زرقاء الماء،
من ظلّها،
والوجوه
التي أعطت الماء

موت الوجوه.

ستأتين

تأتين

تأتين...

من مخبأ العمر

من طلقة الرعب

من صرخة الجرح

من رحلة المبعدين...!!!

. ١١ .

سألت المغيبي:

«أتهرب لوقيدتك الخطيئة

أعطوك من جوعهم بخلهم،

ما تبقى

وما سوف يبقى...؟»

ستبقى الحروف

وهذي القصائد؛

تبقى الممالك مثل المهالك

تهرب من رقعة الفتح

رقم الهزيمة...!

سألت...
سئمت المغني،
ومن يرفع النَّج،
وهو يحمل من مات كلَّ الخطايا...!!
سبايا،
عرايا.

على قبة النَّخل
هذي المدائن؛
والليل عار
كما أنت عار؛
سينتحر الحرف بين القصائد
والرَّاحلون
كما الغائبين...
ممالك:
لو شرَّدتك،
ستكتب شهادة القبر،
لو شيعوك؛
فهرب قصاصك .
بيني .
ضع خاتما
تاجك المستحيل...
سيمنحك الخوف وجهها جديدا

وجوع الحزاني جرابا جديدا؛

ممالك من ألف عام،

قداموس...

صور...

وباب المدينة،

من سوف يدخل باب المدينة؟!!

من سوف يفتح مرتاج قلبي،

ويدخل من طاقة الجرح...!

أضأت القناديل،

هدهدت خوفي،

قرأت على خدّها آيتين:

«سيأتي أبوك،

وأَمَك تأتي،

ومن ضيِّعوك...!»

قداموس...

هذي الممالك

صفصافة للبياء؛

رأيت عليّا توشح هذا السّواد؛

وعمرو يغنيّ.

كما لم يغنّ.

وهذي المدينة،

هذي السّفينة.
هذا العراء...!!

(المتلوي في: ٢٩. ١٢. ١٩٩٤)

رحلة قدموس إلى صور

* الإهداء *

إليه في المبتدأ وفي المنتهى، من غير نعوت أو
أسماء... إلى آلامه... إلى جراحه الكثيرة، ثمّ موته
منسيًا... إلى قدموس الصّوريّ حبًا وكرامة!!

الإمضاء: ص. شعباني

* تصدير *

أراني في الثلاثة من سجوني
فلاتسأل عن الخبر النبّيث
لفقدي ناظري ولزوم بيتي
وكون النّفس في الجسد الخبيث

أبو العلاء المعري

* تقاسيم *

. ١ .

سقطت دمه،
قرب الشاطئ؛
والبحر سفائن من ملح أخضر.
صاح الملاح الحائر:
. سقطت دمه،
صارت شمعه!

. ٢ .

هبت نسمة،
نكأ الفجر المسكين خطاه
ونام،
مهيبا بالقلب،
إذا هزته دموع الشاطئ /
أن يخشع!

.٣.

رقدت حلمه،
من شوك بحريّ كانت؛
مدّت لهديل اللّيل سناها،
وامتدّت عبر خيوط العشق /
شعاعا من عنبر!

.٤.

كانت رقصه
تتثنّى في خصر امرأة في الحانه،
تشرب من ألق الفيروز،
وفي شطحات الحبّ،
تعاطي النّدمان وتسكّر!

(المتلوي في: ١٠.١١.١٩٩٧)

* رؤيا *

.١.

هذه السّاعة:
أحصيت أتون الموت في دقائقها،
صانعتها في غفلة من هيبة الجدران؛
قلت:
. الطّاعة الآن لمولاتي؛
وقلت:
. الطّاعة اليوم لدقائق .
تتوجّها السّاعات عرسا لمماتي .
. الطّاعة اليوم لدقائق .
تتوجّها الأحزان عرسا لانبعاثي .
في رفات الميّتين .

.٢.

هذه السّاعة
أحصيت أتون الموت في دقائقها،
لم أجد في طيّها .
عمرا لأنفاسي القتيلة!!
لم أجد خلف انكسار الخوف فيها .
مدني...
بعض التي عاقرتها شوقا سبيّا!
لم أجد عمرا فتّيّا.
(لم أجد للحزن مملكة سواي)

(المتلوي في: ١٩٩٩.٣.٩)

* بانوراما البدء والميلاد *

.١.

تتعطل مَيّ الأسماء
لبقايا الأشياء الأولى.
يتماوج صمت الليل؛
أحاول أن أتذكّر وجه الأرض
وبابا يغلق خلف الشمس سماء.
وأحاول أن أنسى الصّمت المقتول
فيعلكني الخوف المتأمّرسارية التّيه؛
أرتدّ إلى الخلف المنسيّ قليلا،
أعبر صحو الصّمت،
أصير جدار رصاص.

.٢.

يتعطل مّي الحرف،
وتلحس فروة قلبي كفّ البدء،
وتلك النّخلة تجدل في السّفر المنفيّ ضفائرها:
هل كانت تهزأ بي؟
هل كان الحرف يؤسّس حقًا هذا الكون من اللّاشيء؟
وهل يتعاطى الإنسان المعمود بقيّة تشريد توراتيّ
يتناسل من فرج التّاريخ المجهول؟
أه لو يسمعي ذاك اللّيل!
ونياشين النّصر المغلوب تؤوب فتسمعي!
لشهدت أمام النّخلة والعذراء:
بأني من جنس مقتول!؟

.٣.

بسق النّخل،
شجر الزّيتون،
نشيد المصلوبين على المتراس المذبوح
وصرير الباب يوّدع حشرة الموتى:
من يحمل هذا النّسيان؟
من يعتصر السّيف الشرقيّ حروفا للبدء
فتتخن وجه الدّم؟
ومن. إن عاد قداموس الصّوريّ.
يشدّ مراكبه،
ليشيد من موج البحر المثلثول
مدائن من فرح،
ويوزّع كيس الحلوى خلف شواطئها
بين الصّبيان!؟

.٤.

بندول السّاعة يعلن موت الوقت،
وذيل الشّارع خلف البيت ينام
بظلّ النّخلة تحت الفانوس المنسيّ،
ومملكة اللّيل
تتجاذب صمت مدينتنا.
هذي المنفيّة بالأمر الرّسميّ من البحر
وتقارير الأوراق...؟!
وهذا الحرف:
ألا يأتي؟
. ما بال الحرف يعلّق ذاكرتي؟
. ما بال الحرف يظلّ مزيجاً سرّيّاً
من لون الحبر إذا عافته الأوراق؟!
لكأنّ الحرف يخبئه الدّمى بقبو الكنيس،
لكأنّ الحرف يهادن من ماتوا بغيابات التّيّه،
ويصانع آلهة التّوراة
بغير وصايا التّوراة.
يا... هذا الحرف!!
أرني الشّرق المنسيّ بدائياً،
وحذاء العير بدائياً،

وخرير الماء بدائيًا
وحنين الصّعلوك المنفيّ إلى الصّحراء بدائيًا.
يا... هذا الحرف!!
من علّمك الغيرة في التّيّه؟!
أمسوح الراهب تطعن من خلف؟!
أموائد هذا التّفويض العرقيّ
تراقص نصرًا مغلوبًا؟!
أم أنت تحاول أن تنسى
شجر الزيتون،
وشكل الحزن،
وأغنية الرّايات الخمس،
وردة تشرين؟!

.٥.

يعيبك المجذاف المنسيّ... قداموس!!
يقصيك الربّ من التّسبيح بأيات الأرض البكر
وقدّاس الميلاد!!؟

هل تعلم كيف يراضي الربّ حواريه؟
هل تعلم كيف يشاد الهيكل من ماء الجسر؟
هل تعلم كيف يرتل «هوزانا» العشق؟
مازلت بعيدا

/ في المنفى.

ونبوءة إنجيل الموتى... تقصيك،
ويمحو الحبر ترانيم المجذاف بماء الجسر،
و«هوزانا» الحبر الممسوخ!!

بربّ الأرض ستبقى
من ضلع الأرض العسراء نبيا.
بالحرف المعصوب،
وحلوى الصّبية في الأعياد...
ستبقى.

فليمحوا دمك التّاموس إذا شاءوا؛
دمك الميلاد،

يؤرّخ، في شرف، بدء التّخريب بحقّ.

فليمحوا أطلال الغربة في التيه،
فستحيل من أنقاض الإغراء الليلي،
مسوحك... هذي الأرض.
ستعلم أنّ الأرض تهرب ذكراك
وستعلم أنّ الإنشاد يعاقرني الدّمع لقاك.
سنكتب، باسم قداموس الصّوري،
قصيدة حبّ...
نكتب قرءان الحرف الدّمويّ
نعشق
كلّ
خطاياك.

(المتلوي - في ١٩٩٤)

* موجة *

.١.

هذه موجة لا تروم الغرق،
هذه موجة لا تموت...
وأمتنّ للبحر لو لم يفق /
هادرا في الحدق.

.٢.

هذه موجتي .
رحلتي...
هذه رحلتي...
موجة قد تسافر،
لكن إذا ما تشظّت،
تجيش،
فيملئني كلّ يوم شفق.

.٣.

هذه موجة،
إذ تغيب،
يعمّقني الصّمت .
أنتظر البحر خلف المدائن،
في موجة لا تموت،
وأبطئ منتظرا،
لا أرى من يموت سواي،
فأصرخ من غمب القلب:
«ربّ أودّ بأن أحترق!»

(المتلوي في: ٢٢. ١. ١٩٩٩)

* في البدء يكون الحزن *

.١.

تنسى أن تسحب خطوك أحيانا،
من بين ركام الأحزان.
تنسى أن الموت التّنين بوجهين؛
وبأنتك وحدك .
حتّى الوجه الحامل فيك بقاياك:
لا يآبه أن تغرق،
أو تستسلم،
أو تنهار...!!

.٢.

تنسى أن تقرع باب الحرف،
وتدخل في صمت،
كي توقظ أشباح الموتى.
كي تترك من ماتوا
والقبر المنسيّ
والظلمة...
تترك سرّ اللّغز.
وما للرّبّ لكلّ الرّبّ؛
وتدخل في صمت
كي توقظ أشباح الموتى.

.٣.

تنسى أن تكتب بالدمع المسكوب .
خبايا الدمع المعطوب...
وتهادن من مروا في الليل عليك .
وتحاكم من جاءوا في الصمت إليك .
وتكسو العظم الشارد:
من لحم/
من دم/
من سجن يؤوي الموت بلا ضجر ،
من صوت يقلب طعم الأشياء .
ويعرّوجه الصمت غبارا ،
يعلن . إذ تغفو .

لخبايا الوجه الحامل فيك بقاياك:
فلتناً الأرض العسراء بما فيها...!
وليمح الصمت شظايا الصوت ،
فتأتي كل الأشياء ،
لتعانق كل الأسماء...!!

(المتلوي في: ١٧ . ٣ . ١٩٩٨)

* جدارية الألم والعشق *

. ١ .

... قاتلة ليلة الحبّ .
إن ذبت عشقا،
ولكن يغيب الحبيب .
ومقتولة نبضة القلب شنقا،
مراق دم اللحظات،
مواربة سفني /
لا أراها...
إذا انكفأ الليل فيّ .
وعيدا يمزق كلّ الوعود،
وينأى .
فلا الطيف يأتي،
ولا ليلة الحبّ . مقتولة . تستريح،
وأه...

. ٢ .

وقاتلة .

من قديم .

ومقتولة...

لوتجىء العواصف .

قاتلة .

لو أفكر أن أستبيح العناصر .

مقتولة .

لويكون الزمان خلاف الزمان .

قاتلة .

لوأكون أنا المنتهى .

قاتل...

قاتل...

ولكن قاتلي الليلة الحبّ والانتظار!!

فلوجاء...

. كيف تراه يكون؟

ومن أيّ حبّ عصي؟

ومن أيّ باب سيقتم العشق؟

هل يعرف اللّيل خلف انتهائي؟ /

هل يعرف اللّيل خلف انكفائي؟ /

هل يعرف اللّيل حين يموج .
فأمتدّ طيفاً ،
وأرتدّ سيفاً عتياً ،
لأخترق المستحيل .
... وقاتلة ليلة الحبّ .
إن ضعت حدّ الشّذا ،
ولكن يغيب الحبيب .

.٣.

فلوجاء...
ليت المدائن بين انسكاب المحيط
وبيني /
تجيء...
وليت المدى يتوقف .
لولحظة .
كي نرئى أنخابنا ،
كي نقول: «السلام... السلام ،
لمن لم يجرى ساحرا في الختام.»
فلوجاء...
ليت مجامع قلبي تمهد في مكمن القلب .
عرشا سنيا ،
وحرفا بهيا ،
وحلما قصيا .
يسافر خلف مملكة الانتهاء .
ولو جاء...
أرجو...
وأرجو...
... ولكنّها ليلة الحبّ:

قاتلة .

لوأكون أنا المنتهى .

لوأفكر أن أستبيح العناصر /

قاتلة .

لويكون الزّمان خلاف الزّمان .

ومقتولة نبضة القلب شنقا ،

مراق دم اللّحظات ،

مواربة سفي /

لا أراها...!

وأه...!!

(المتلوي في: ٢٦ . ٣ . ١٩٩٩)

* سفر *

. ١ .

مدلج في ثقوب هذا المدى ،
زادك الموت والكلام المشرشر .
كم شتاء تلكاً الخطوفيك ،
والمسافات...!
كم ربيعا سكبت المدن الهاربات
في شرفة القلب؟
وكم شارعا يغسله الدّمع /
تمزّقت فيه؟
كم . يا سليل التّشّت المرّ .
تقصيك العيون التي نمت ذات فجر
في نشيد الرّحيل...
لون خطاك...!

.٢.

موغل في ثقوب هذا المضيق؛
موغل دائما،
وصمت المحيط:
امتداد.
كأنك السندباد،
يا سليل التّوحد الحرّ.
تهرب...
موغلا في امتداد هذا المحيط،
مدلجا في ثقوب هذا المدى،
وكفى!

(المتلوي في: ١١. ١١. ١٩٩٧)

* إهداء أول للبحر *

.١.

جاءك البحر،
سار في راحتك؛
ورمتك الشواطئ.
موجة في راحة الرمل؛
لملم الآن خطوك،
واسكب الدمع خمر الأزلية،
سرتما إلى امتداد الحروف،
حطّم الموت. قيدك المستحيل،
واسرق البحر...
كي تشيد من موجه عرشا
/و/

موكبا للقصيده...!

.٢.

أنت مثل المدائن المبحره
تحمل الموت كالنَّشيد وكالذَّاكرة الأَسره،
تمهَّب حلما...!
أنت مثل الحدود...
كالطَّلقة القاتله .
وأنت . كما أنت .
قصَّة السَّفَر الهارب،
منديل في رصيف الرِّحيل،
وهسيس الشُّوارع المستعاره:
أنت مثل المراكب الهاربه .
كلَّما أوغلت بشوق إلى البحر،
تجلَّت ككشفك . الظَّلّ،
صارت...
موطنًا للحزن المرصَّع في الذَّاكره...!

(المتلوي في: ١٨ . ١١ . ١٩٩٧)

* أثر *

.١.

عيناك دوما تضيقان،
تحجمان ملياً .
خلف الصحارى،
فتمضي...
برأسك المشرئب الحدود،
والهمسات التي تجيئك /
في صحوك الظلّ،
كانكسار المسافات،
كانعكاس المساءات في خفاياك،
كالصّمت،
كالمضيق الذي لا يضيق...!

.٢.

من ألف صيف وعيناك،
في زوايا الرّحيق،
بين انكفاء القناديل .
تحجمان مليًا،
كي يزهر البحر في مقلتيك وردا،
وكي تصطفيك مملكة الأغنيات،
كي تقتفيك الشّواطئ البعيد:
نجما؛
من ألف وجد وعيناك،
لويطول المدى تبجران،
لويتهجّى المساء خطو المساء .
لويرحل العابرون .
لوتقتفي أثري تغرقان...!

(المتلوي في: ١٠.١٢.١٩٩٧)

* تغريبة عوليس *

.١.

حين رأيته برأس الشّارع اللّيليّ،
كان يعصر الحزن وحيدا،
يهصر الخوف الذي مازال لم يناً،
ويحتدّ فيجثو.

حينما الخطو يصرّ؛

يحرن الخطو فلا يمرّ...!

. ٢ .

تائها،
ذراعاه تمدّان لليل الخطوات،
أهة الشوق بصمت؛
هادرا كان
يلمّ البحر من أطرافه،
يبني من الرّمل قصورا،
ومسارات الصّحارى،
وحداء العير؛
يرفع الصّوّاري،
ويدير دفة الرّيح .
ترى هل يستريح؟
هل ينام موعلا في سمرة التّين؟
وهل يعتنق الماء خطاه؟
تائها وهادرا،
لكنّه مازال لم يناء،
ويحتدّ فيجثو.
عندما الخطو يصير؛

يحرن الخطو فلا يمرّ...!
(المتلوّي في: ١١. ١٢. ١٩٩٧)

* ذكرى *

.١.

أمس...
مطّ البحر شدقيه.
علا موجاته الحرى بشوق،
واستراح.

أمس...
كان البحر نجمين ومركب؛
وشراعا كان،
حورية ماء في جليد القلب
مؤالا وطوفان.

. ٢ .

وأمس...
لم أرا البحر كما كان؛
تساءلت:
. ترى الماء يملّ الماء؟
هل قطره هذا البحر.
يشكو؟
هل يجنّ البحر مثلي؟
ويجنّ البحر لثّيه البعيد؟
للمسافات الصّحارى؟
لمواويل السّكارى؟
للحيارى؟
ولراح الحانة الزّرقاء؟

.٣.

أمس...
بيتي المسكون بالظّل،
وثقل الصّمت؛
بيتي لم يعد بيتي؛
وما عدت كما كنت .
صبيًا يافعا في نطفة الدّار
وكأس الشّاي،
لون الظّل تحت النّخلة السّمراء؛
ما عدت . كما كنت .
مليئًا بالصّراخ،
وامتداد الرّوح في زفرقة اللّيل؛
أسيرا في انغلاق اللّولب السّحري،
مقتولا على تخت الحكايا.

.٤.

أمس...
صرت الشّارع الليليّ،
صرت الصّمت والأحزان،
صرت الخطو...!
هل شاهدتني والميّتين؟
هل تلمّست السّواد الأزرق النّيليّ،
وارتحت قليلا،
بين من سمّيتهم لكنّهم خافوا التّعدد؟
هل لمحت اللّيل في عينيّ؟
هل شاهدتني أجثو لأحترق قليلا. أو.
كثيرا،
بين من سمّيتهم لكنّهم . عفوا . يخافون
انسحابي،
ويخافون سوادي في قبور الميّتين.

. ٥ .

أمس...
كان البحر طوفانا،
وكنت .
مثلما البحر نبيًا؛
كنت مؤالا،
. بلا بيت،
ولا ربح،
ولا راح...
نبيًا كنت طوفانا /
وذكري /
وانفعالا /
وبقايا من ظلال...!

(المتلوي في: ١٣. ١٢. ١٩٩٧)

وأه غرناطة...!!

. ١ .

تخطو على دمك القتيل .

مموها /

ومشوها...

دمك القتيل محرّم،

لكّهم سفكوه؛

دمك القتيل مبرأ .

من ألف عام سيّجوه وراءهم،

لكّهم وقفوه في زنزانة التعذيب،

مالت كلّ أعينهم وأسهمهم إليه،

وسدّدوا.

سقط القتيل مغمغما.

من أنت؟

.....

من أيّ البلاد؟

وكم طريقا جبتة؟

.....

هل تعرف الوهم المغامر. يا صديقي .

تعرف البلد الشريد،
وتعرف الوطن المهرب في الحقائق والعيون؟!
.....
.قل لا تخف.
من أنت؟
من أي البلاد؟
وهل ترى غرناطة فرشت جدائل شعرها،
فسكبت خمرك في وريد شجونها.
حاورتها،
ضاجعتها حزنا،
فمدت قلبها.
غادرته حين انتهيت...!!

.٢.

تخطو على دمك...
المدينة والشوارع،
موقف متمهل يحسو الخطى،
مطر...
ومنزلك الجديد.
جريدة قرأت سطورا عن دماء؛
كتبت سطورا عن خطاك،
وعن دماء الآخرين؛
لربّما نفس الخطى،
أوربّما نفس الدماء /
وشارع...
أوربّما نفس الدماء /
وموقف.
نفس المدينة والجريدة،
ومدامع المطر القديم.

.٣.

تخطو على دمك... القتل؛
وأنت لم تسحب شهادة موتك المنهار؛
لم تعرف تماما دورة الأقدار،
لم تعرف تماما:
. ما إليك وما عليك...!!
سأقول:

. اخط على دم هو منك؛
اخط، فذي الجماجم تعتيك،
وتقتفي أثر الدماء.
لتعبر الشريان /
تمحوراحة القبر المفخخ بالشظايا؛
كي تعيد النبض للقلب الجريح .
ويدسقط السجان .
من أي البلاد؟
.وكم طريقاً جبته؟

.....

. هل تعرف الوهم المغامر. يا صغيري .
تعرف البلد المصادر؛
تعرف الوطن المعلب في الحقائق والعيون!!

.....

قل، يا ابن سارية وماء.

.من أنت؟

من أيّ البلاد؟

وهل ترى غرناطة... رحلت إليك؛

فرشت جدائل شعرها،

فسكبت خمرك في وريد شجوتها.

حاورتها...

فبكت عليك؟

.٤.

تخطو... وتخطو؛
ثمّ تخطو!
. كيف يخطو من يرى مدنا
وراء الماء تقتل من يراها؟...
. كيف يخطو من تحطّمت الخرائط في دماه،
وتلبّثت في مقلتيه .
تبعثرت كلّ اللّغات /
على الرّفات؟

تخطو... وتخطو؛
ثمّ يسحبك المدى:
سفن يجيء محاربوها،
شاطئ في قلب لبنان القديم،
ممالك من ياسمين...
قمر بعيد،
نجمتان،
وخيمة في صدر «عشتار» المقدّس؛
ثمّ تخطو:
. من يرى «قدموس» غيرك؟
. من يرى ألق البحيرة والتجلى .

من يرى ماء بلون الأبحوان؟!
.ومن يرى ألما يسافر في انسياب الجرح...؟
اخط على دم هو منك؛
اخط، فذي الجماجم تستعد لأن تضيق /
وأن تفيق...!
وذي الجماجم رقعة الشطرنج .
مملكة الرصاص:
ستسحب المتراس خلف الراجلين،
ستسحق الأشباه /
والخطّ التّهائيّ الذي لم يستعد أبدا خطاه،
وأخر المدن العتيقة في مداها...
(وأنا المتاهة!)
.ومن يرى ألما يسافر في انسياب... غيرك؟
ثمّ تخطو:
.من يرى غرناطة؟
«قدموس»؟
والماء الضليل؟

. ٥ .

تخطو على دمك القتيل:

. من أنت؟

. من أيّ البلاد؟

وكم طريقاً جبته؟

قل، يا ابن سارية وماء:

. من أنت؟

. من أيّ البلاد؟

وهل ترى غرناطة... رحلت إليك؛

هتفت بحرقة شوقها،

فسكبت خمرك في وريد شجونها .

حاورتها...

فشكت إليك...

وحينما عانقتها،

رحل المضيق بأخر الأسماء .

وشوش زورق للماء همسته...

تداعت فيك مملكة القرون /

بها انتهيت...!!؟

(المتلوي في: ١٠. ٥. ١٩٩٨)

* المدن الملتصقات *

.١.

أيا سيّد الصّمت،
يا سيّد الانتظار المفاجئ،
يا سيّد الذّكريات الّتي لا تلوح كما الذّكريات...

أيا سيّد الصّمت،
سئمت البلاد الّتي أحرقتني...

سئمت البلاد!!

سئمت الّذين يبوحون .
من قلب كلّ البلاد .
بحبّ البلاد...

وأسأم هذي البلاد إذا علّقتني،
لأنّي . إذا ألبسوها . وشاح الرّفاف،
وسار الحدأة بعيدا...
بعيدا،

وسار الجنة،
وسار الحفاة،
ومن يلبسون مكان العوينات صمتي /
ورمحا سيعرف كيف يمزق قلبي /
إذا ما تبعثرت قبل البلاد /
وبعد البلاد /
وفي قلب كل البلاد...

سئمت البلاد.
وأسأم هذي البلاد إذا علقتني،
لأنّي. إذا ألبسوها. وشاح الرّفاف،
بكيّت إذا ما رحلت،
ولم أستطع أن أبوح:
. بأنّ البلاد بلادي،
وأني. أنا. سوف أعتنق الصّمت،
يا سيّد الصّمت،
يا سيّد الانتظار المفاجئ،
يا سيّد الذّكريات /
التي /
لا /
تلوح /
كما /
الذّكريات...!!

.٢.

أيا سيّد الاحتراق،
أيا من نأت في مداه يداي .
ولم تحترق...
أيا من تغمّست فيه،
وكانت خطاي الألق،
ومن تهت فيه،
فكانت دمائي الحريق
وكانت دموعي الغرق؛

أيا سيّد الانفلات من الانفلات،
أيا سيّد الاحتراق .
الذي إن تطامنّت فيه .
تفرّعت من مائه وردتين؛
وإن غصبت فيه تمنّعت حدّ الضّجيج،
وإن تهت فيه تمنّيت لو صرت طيفا،
وصار الحريق المدى /
والهوى /
والشّفق.

.٣.

أيا سيّد الانسكاب البطيء... عليّ:
لماذا انسكبت على صهوة الماء توتا؟
وفي هدأة المدن المملصقات تخنّرت،
كالصّمت،
واشتقت أن تحرق المدن المملصقات /
بماء...؟
لهذه المياه طعوم الحريق،
ولون المضيق،
وصنّارة الانتفاء...

أيا سيّد الانسكاب البطيء:
قداموس يأتي.
قداموس من رحلة الألف عام سيأتي،
بشوق،
بلهفته السّوسنيّه؛
يا سيّد الانسكاب عليّ:
ترى كيف كان قداموس يطوي الشّراع،
ويخفي العواصف في جيبه لعبة؟
كيف كان قداموس يرسم في الماء صور،

يخاطب في الماء بحّارة عاشقين،
وسورا سينهدّ فوقّي،
وسورا سيعلو عليّ؟!

أيا سيّد الانسكاب .
رأيت فينيق،
وأخر من عاد من رحلة الألف عام،
ولكنّ صور .
قداموس ما عاد يأتي إليها،
لكي يرسم في الماء توتا،
ويخفي العواصف في جيبه كرة من زجاج؛
ولكن سيبني على الماء /
سورا سينهدّ تحتي،
وسورا سأعلو عليه،
لكي أحتمي .
سيّد الانسكاب البطيء عليّ .
من الاحتراق في الماء؛
كي أمتطي صهوة المدن المملصقات،
وصنّارة الانتفاء!!!

.٤.

أيا سيّد الاختناق،
اختنقت ببعض النّشيد /
يبعثره الشّوق حولي .
يرجّعه الجسر في خطوات .
نمت في ضجيج الجسور...
استطالت كما الشّرفات،
كما قبّعات النّخيل،
وزقزقة الماء تحيي الهديل.

أيا سيّد الاختناق،
اختنقت،
فلم لا أسافر في الاختناق،
ولا تختنق.

أيا سيّد الاختناق:
قداموس عاد.
• اختنقت!

قداموس من رحلة الألف عام سيأتي.

• اختنقت!

قداموس يطوي الشَّراع،

ويخفي العواصف في جيبه لعنة.

• سأختنق الآن في كرة من زجاج،

تسافر في ماء دجلة،

تعطي الخليفة بعض السّواد،

قلنسوة،

صولجانا،

لتعتنق الأرض تمها جديدا.

لتستبدل بالوجه وجها جديدا.

لتستبدل بالتّوت وهما جديدا،

وقصرا سينهدّ فوق،

وتحتي،

وخلفي،

وفيّ،

رصاصا،

لأنّي تمنّيت لو يعتليني قداموس بيتا .

وذاك القداموس بيتي .

تمنّيت لو صور تأتي لبغداد حبوا،

كحبوا الصّغار،

ولو يافا تأتي،

وصيدا،

وقرطاج،
والمدن التي شرّدتها الأصائل /
خمسين عاما؛
ويأتي الحفاة من التّيه.
شوقا.
لبغداد جوعا،
كجوع الرّضيع إلى حلمة الانتظار!!

أيا سيّد الصّمت،
سأسأم هذي البلاد التي علّقتني،
لأنّي إذا ألبسوها وشاح الحداد،
انتفيت،
ولم أستطع أن أصبح:
بأنّ البلاد بلادي،
بأنّ العراق ضريح سيعلوعليّ.
إذا مزّقوه... تمزّقت دوما،
بماء سيذكي المضيق حريق!!

.٥.

أيا سيّدي، سيّد الاعتكاف؛ ويا سيّدي،
سيّدي: . من يقول بأنّ انتهينا هنا مثل طيف
الدّبح، وإنّ الغرايين يرتضيان القصاص،
ويعتقان الفراق، لكي نستفيق على صرخة
الاختلاف، ونصحو على راحة الكفّ مؤتلفين،
ومتّفقين؟! وهل . يا شقيقي . يكون علينا بأن
نحمل الوزر وزرين؛ أن نبكي الأرض حين تلوح،
وحين تروح، وحين يمزّقها الطّفل نصفين: نصفاً
لهم، ثمّ نصفاً لهم، ثمّ لا شيء لي، غير عينين
ملّهما الدّمع / هدّهما الانطفاء...؟ أيا سيّدي،
سيّد الاعتكاف؛ ويا سيّدي، سيّدي:

أه من قهقهات الرّخام،

ومن ضحكة تعتريني

فلا أستطيع سوى أن ألك الضّجيج،

وأن...

لا أرى غير نخل يموت من الحزن /

في باحة القلب...

لا أستطيع سوى أن أريح الضّجيج /

على راحة الكف...

كي لا يفيق

وكي لا ينام.

أيا سيّدي، سيّد الاعتكاف؛ ويا سيّدي:

.أه من قهقهات الرّخام،

ومن ضحكة تحوييني،

فيصّاعد الحزن /

والدمع /

والجسر /

والمدن الملصقات...!!

(المتلوي في: ٢٠.١.١٩٩٩)

* إهداء أخير إلى الذي كان *

أبن يا حمام الدّوح خلّك مائل
وفرعك ميس فقيم تنوح
وقل لي حمام الدّوح جئتكَ سائلا
بربّ رعاك الدهر كيف تصيح
أمن عتب في القلب يوجبهُ الهوى
وقد تنكأ القلب الجريح قروح
أم اللّيل هاج الشّوق فيك مبakra
بذكرى وربّع في العراق فسيح
فبتّ تروم النّوم أو لا تطيقه
كذلك غريب الدّار لا يستريح

ومهدت للتّحنان قولا فشقه
نشيج يعضّ الصّدر ثمّ يروح
فما لك يا طير الحمام سوى الهوى
وليت الهوى بحر وأنت فصيح
لكيلا تظللّ الدهر تشكو صبابة
وتبكي وأسراب الدّموع سفوح

رأيت خليل الناس دوما مقدّما
وخلّي ملوم كيف يأتي كسيح
فماذا جنى خلّي لأجل مهانة
وكيف خليل الناس يسعى صبوح

سأرخي عنان الظّعن ليلا وأنثني
مغذّا مسيري والفؤاد قريح
وأطوي غربا ما لهمي منزل
مجافى تحاماه الشّجى فنزوح
إذا القمر الميمون هزّ لواعجي
وكانت نجوم الأفق وردا يفوح
تهجّيت «ليلى» ثمّ بوّت بخيبة
ألا «ليل» عوجي فانسكابي طريح
وقولي لقومي يحرقوا ميعة الصّبا
وحبّا قضى قبل الأوان يصيح

ورشّي إذا غمّست خمرا بقطرة
من الماء بعضا كي تداوى قروح
ويحظى طريد الحيّ منهم بزائر
ويشفي ضليل بالعراء صريح
أقول لعيني والدموع سواكب

ألا ليت «ليلي» يعترهما سنوح
ولكن «ليلي» مثل كلّ خليّة
تري الوصل قربا غير أنّي قبيح
وأیضا بعيد لا رفیق ولا أخ
سیان أموت الآن أو أستريح

أحطّ رحالي ثمّ ينأى بي النوى
بعيدا بذهني طيف أخرى مبيح
يطارحني الشكوى فأذرف عبرة
سقى الله رسما بالعراق يسبح
فما من سلو قد لحوتك كارها
وفيك صبا مستنفر وجموح
وفيك افتتاني بالحياة وطيبها
وفيك علتني من سهادي صروح
وفيك اشتيت البحر أثم خده
وقد عقلت ذكراك فيه وروح

وأودعت قلبي في ثنايا شجونه
رجاء بأنّي عائد مستميح
وأنّي أجوب التّيه أنه رورده
عراقي وأدعو أن يشيخ نـزوح

وفيك نذرت الوصل ربّاً لصبوة
جموح حريق غمرها مستبيح
وفيك وددت الله ينشر جنتي
عراقاً لكلّ المعرّقين تبسّوح
بأنّ نادى بين حزن وعبرة
وصهباء جاما في الكؤوس تسيح

نرؤي الرّسوم الماثلات بدجلة
فكلّ دموع الظّاعنين قروح
ويلقي الفرات المستكنّ بظّله
علينا سكوناً في مداه جروح
وفيك ظننت الموت يحجم كاسفا
فأنت مكان الموت وهم يروح
وأنت وطاء السّالّكين وكلّهم
قتيل هوى ما فسّرتّه شروح
وأنت ملاذ الواطنين على الهوى
ألا تبتّ الأقدام! تبتّ كشوح!

فقد وطئوا فيك الخراب وما رعوا
تراثاً تليدا عانقتّه سفوح
وألوا يميننا لو تطول أكمّهم

سماك رموا فالموت سيف مبيح
هم (و) ليس فيهم غير قبضة تائر
على وجهك الوضاح دما يفوح
هم (و) ليس منهم من تضيع نسمة
قرونا، فباتت وهي مني صروح
ألا رحم الله العراق فإنني
فداه وقلبي في هواه قريح

.انتهى.

صور. سلطنة عمان: ١٨. ٢٠٠٤. ٨. ١٨

صوفيّات...
وقصائد أخرى



* الإهداء *

إلى محمود درويش مرّة أخرى...
إلى متنبّي القرن الواحد والعشرين الذي
كان حديث النّاس وشاغل دنياهم، ولكن في
صمت...!!

الإمضاء: ص. شعباني

* تصدير *

صباح الخير يا ماجد
صباح الخير والأبيض
قم اشرب قهوتي، وانهض
فإن جنازتي وصلت. وروما كالمسدّس،
كلّ أرض الله روما، يا غريب الدّار، يا
لحما يغطّي الواجّهات وسادة الكلمات، يا لحم
الفلسطينيّ، يا خبز المسيح الصّلب، يا قربان
حوض البحر الأبيض المتوسّط.. اختصر الطّريق
عليك يا لحم الفلستينيّ، يا سجّادة الوثنيّ،
يا كهف الحضارات القديمة، يا خيام الحاكم
البدويّ، يا درع الفقير وزكاة المليونير، ويا مزادا
زاد عن طلبات هذي السّوق، يا حلم الفلستينيّ
في الطّرق، يا نهرا من الأجساد في واحد.
تجمّع واجمع السّاعد

محمود درويش



* عتبة *

... أن تنجرد الذاكرة تماما، وما كان يؤثها
من العلامات والآثار الفارقة – التاريخ، الصرخة
– الذات، واللوثات التي نادرا ما تتكرر، فتكون
بمثابة المطهر النهائي لروح في طريقها إلى التلوّث،
تنقلب، زئبقا آخر، بمعايير وخصائص جديدة
– الكائن/كائن الذاكرة – ذاكرة جديدة تنشأ
من كلّ الأحاسيس التي لم تكن، أحاسيس اللّغة
الأثرية التي نسيت عبر الأزمنة، فلم ينقّب عنها،
إمّا لافتقادها إلى البعد المادي الذي يميّز كلّ
الأدلة العينية، وإمّا لأنّها مشروع... مشروع
صوفيّ، القلب هو الطّريق الوحيد للاهتداء
إليه...

(غير مؤرّخة)

* اقتفاء *

يقتفني اقتفائي
يقتفي أثري
أقتفني...
أثر الاقتفاء اقتفائي
واقتفائي أثر
على أثر الاقتفاء.

طريق تونس - مساء: الساعة ١٦:١٩
٣١ ماي ٢٠٠٠

* مقام *

هنا

القار الأسود -

علامة لطريق تحفل بالأسرار؛
والشعاع المنبثق من قرص الشمس،

ذات مساء من ألف مساء خبأته

في أحد الأسفار المنسيّة -

هذا شعاع نصفه فيروز،

وثلاثة أرباعه مرجان...

والقار الأسود لا يهدأ،

ينغل في جرح الشّارع -

جرحي من زمن الفتنة،

حتى «أغمات»...

من يذكر «أغمات»؟

من يذكر تاريخا مات؟

من يرسم «أندلسا» -

في هذا القار الأسود -

ذات مساء من عشرة أورا

أعطاني الحلاج... (?)

نسيت الحلاج -

ما أعطاني -
من رسم حروف الورد،
وما أعطاني من الشوق
ومن نارالفتح المسبوقة بالأسرار...

(المتلوي في: ٢٤ - ٤ - ٢٠٠٥)

تساؤل

_ لماذا الصَّبّاح يخاطبني دون غيري؟!

لماذا التّماهي مع اللّون...

لماذا التّواطؤ في الحزن يفقدني الشّمس_ !!؟

(غير مؤرّخ)

مقام في التّواجد والعشق

مازالت كلّ قباب الرّبّ مواربة،
في القلب قباب الرّبّ مواربة،
والقلب خلاء،
والقلب خليل الخلانّ المجدودين...
القلب خلوت إليه،
فدعاني،
خلّ بالخوف العليّ مراقي الشّوق،
غليلي ولهااتي...
ناداني من بدء الرّحلة،
عمّد في خيول الخلوة/
والنّجوى...
لم أدربأيّ رحيق مسدني
لم أدربأيّ عبير ختمني؟!
والخمر تحاصرني!!
بغداد/
وصومعة الشّيخ الشّبليّ،
وأصوات التّرديد إلى الفجر،
ومخاوف من ماتوا...
مرّوا من بين أتون السّدرة والسّتر،

والصّوت غريب،
والصّوت حبيب حدّ الفتنة والسّحر...
بغداد/

وصومعة الشّيخ الشّبليّ
وهينمة الصّوفيّين
والقلب خلاء،

والقلب خليل الخلانّ المجدودين...
القلب خلوت إليه،
فدعاني:

- أن صاح ابذل خديك، تعال؛
تخلّل صوتك بالترديد،
وخوض في اللّجة حدّ التّخليل الثّاني،
واسكب في النّفس القيوم جذور الرّحلة/
والمحنة...

والقلب خلاء،
والقلب خليل الخلانّ المجدودين...
القلب خلوت إليه،
فدعاني:

- أن صاح الله _____
وكلّ الصّحبة والأخيار،
على الشّطّ الثّاني من المحنة،
فادخل،
خوض في اللّجة حدّ التّخليل الثّالث،

وَادِعِ الْحَضْرَةَ أَنْ تَشْتَقَّ مِنَ الْأَسْمِ الْعُلُوِّيِّ
كُلَّ مَفَاتِيحِ الْكَشْفِ
وَتَغْرِقْنِي حِدَّ الدَّوْبَانِ!!

(المتلوي في: ٢٦ - ٥ - ٢٠٠٠)

لهفة

الشِّقْوَة غَبَّ اللَّهْفَة، يا مولاي، أنوء بهما،
أشتاق السِّكْرَة فيها، والخدر الرِّابض في شففتين
مدملجتين؛ أتوق إلى الصِّمْت المسكوب على
الكأس، فليت الرِّحْلَة في الرِّاح توافي... لبت سليلا
من زمن المحنة يبرك حيث الفورة والتَّحْنان،
وبحر الرِّغْوَة يلثم في الشِّفْتين الشِّفْتين، ولا
عتب بين العشَّاق المنذورين للنَّشْوَة في النَّشْوَة...
الشِّقْوَة غَبَّ اللَّهْفَة، يا مولاي، طريقي الكأس
إليها، من أحببت غداة الشُّوق، وكلَّ الغمر
المتجلِّي؛ فاقض بأنَّ الشِّقْوَة أشلاء فيا، وحنين
يدني فيك وإليك؛ إلهي، الكأس، وفيض
الخمرة، أقسمت أربق الخمرة في الكأس،
وأشرب حدَّ الشُّوق القدسي، وأرحل في الرِّحْلَة
للمحنة، أعتد الخوف الصَّامت، رؤياك تقرِّبني
منك، تباعدني من حوض الورد إلى الهلكه...
مولاي، فهل ترضى؟! اللهمَّ أسألك، اللهمَّ بأنَّ
ترضى، وتمسّد في قلبي ما القلب هواه، يكون
القلب بأحرفك الزبديّة بحرا آخر للشُّكوى،
ومراح... ويكون القلب بأحرفك السريّة بحرا

آخر للنَّجوى، وبِراح... ويكون الحرف بأعطفك
القدسيَّة قلبا آخر للصبَّمت المسكون بطعم
الحضرة؛ كالسرِّ الحضرة، كالخمر المَجبولة
في العشق، وللعشق... فالهي تعطف، وتكرّم؛
والهي أسائلك الخفض، وشأو الرِّفعة في المحنة
والتَّجذيف إلى الضِّقَّة... والهي، عديلك يسألك
العفران، ومن ذلِّ الرِّحمة تبذل في الجنَّة كلَّ
الأسرار... يا ربِّ تجلِّ وتجلِّ؛ يا ربِّ دنوت فتدلِّ،
ويا ربِّ تسوِّر في قلبي جدران اللِّهفة... يا ربِّ -
تعاليت - تجلِّ...

تجسّد فيّ	تجسّدت فيه
فجاء إليّ	دعوته فيّ
فأوغل فيّ	وجئت إليه
فقال إليّ	وصحت إلهي
فكان العطيّة	وبحت بما بي
وكان السّميّ	كان الصّفاء
وكان التّوغلّ	الذي ضاء قلبي

مّيّ إليّ!!

(المتلوي في: ٤ - ٨ - ٢٠٠٠)

احتجاب

في المدى رونق واحتجاب، وشيش ببوابة
القلب، عشق المريرين، لا شيء يبقى فيفنى، ولا
شيء يفنى ليبقى، هو الله ذات التجلي، هو الله
نفس التخلي، ولا شيء غير الحروف، ولا شيء غير
العزوف، ولا شيء مثل انكفاء الصفات... دليلي
بماذا أجيبك حين السؤال، ولا طاقة للحروف
لتعرب عما يخالجي: منصفى، يا انكفائي على
كل ذاتي، بماذا أنافح عن رهبي وانشداهي،
وكيف أقول هو الحرف ظلي ولا ظل لي، كيف
يشتاقي الصمت أشتاقه، نفر الآن من بعضنا،
نشكي، نتعاب حد التباعض والانشطار، وبعد
التنافر يصفو الوصال، يخاطبنا الله ترى: تعال،
تخفف من الصمت والإثم، وازرع بكفك كل
الضجيج وكل السكون، تمدد ترى ما أرى، وترى
ما أرى، لا يرى...

(المتلوي في: ٣٠ - ٥ - ٢٠٠٠)

* فيض *

رقصا رقصا يا منتجعا للبلوى، رقصا في
الشكوى، ولك البشرى، رقصا رقصا حين
الخوف السريّ يمزق جلده، ويبدّل ثوب الخشية
بالنجوى... لا تسأل بعد الآن وبعثر أسرار الأحكام
وراءك. لا تسأل ما ولى وتدلى، فالفيض العلويّ
بدايته الصّمت، أوجاع تحفل في التّيه... شوك في
القدمين، وحيث يمزق جلدك يشفيك... لا تسأل
ما ولى عن سرّ الأسرار، فبالفاظ النّاسوت، كلام
الجفلى لن تمتدّ إلى الضّفة، لن تشرب من نهر
الذّكري، لن تسطع في شوق الأشواق.

(بتاريخ: ١ - ٦ - ٢٠٠٠. مساء)

هجس

١

... أن الوقت لأن ينتهي كلّ شيء، الحديث
ينتهي، الهديان، والجنون، والألام تنتهي، وما
نريده، وما لا نريده، وأن تصمّ الأذان، وأن تنطبق
الشّفاة، حتّى لا نضطرّ إلى الإحساس بالرتابة
والقرف، وهي تدلق إلى الخارج كلّ الكلام اللّعين
الذي لا طائل من ورائه... الصّمت! الخرس!
الرجوع مرّة أخرى إلى الوضع الجنينيّ الأوّل،
حيث الوعي والشّعور والهواجس، والخوف،
والعواطف، مجرد أحاسيس بدائيّة أولى،
لاواعية، تتأنّى وهي تلج المنافذ والأغوار في رحلة
البحث عن الكينونة المعذبّة...
(أعطيت من قلبي الشّراب فملّه)

الأشياء تبهت، والعلاقات أيضا. والأمل الذي كنت أنتظره خذلني، ولم يعد أمامي سوى التسليم... أن أقبع وحيدا في زاوية مظلمة، أن أتجرع المرارات، وأندب الحظّ العاثر... لم أختَر شيئا، ولم أكن لأختار حتى لو وجدت الرغبة في ذلك... تأخذني شروداتي إلى الأقصي البعيدة / وأتصورني سنبداب آخر، بلا هوية ولا انتماء، ولا وثائق تثبت أنه من مكان ما، همّة في اللحظة التي هو موارد بين أتونها، يكتشف لغاية الكشف، يتلمّس المسالك إلى المجهول الغميق، حيث ربّما يكون للحياة طعم غير طعمها الحنظل... السّؤال المخرج، السّؤال المحيّر: ماذا أريد تحديدا؟ أيّ هدف يمكن أن يقودني إلى شاطئ السّكينة، إلى الرّاحة والاطمئنان؟ أية غاية من كلّ هذا الوجود؟... من هذه الوجوه الكثيرة؟ والألسنة التي لا تحسن شيئا آخر غير الكلام؟...

(صور في: ٨ - ٤ - ٢٠٠٣)

ألواني ترسم ذاكرتي
وتحاول أن ترسم شيئاً
يبعدني عنّي كثيراً...
ألواني تدخل في صمت
لتعيد إلى الصّمت القابع فيّ
أشتاتا من ذكرى باقية
وسراب الاسم
وحرفا يحجم خلف ترانيمي
وأريده أن يشكو
هذا الحرف يبعثني
وأريده أن يعبر
كون الرّوح
ليخجلني،
فأعيد ترانيمي لذاكرتي
وأقاوم ألواني وذاكرتي
فحروف الرّوح
بلا بوح

تخرجني...

وحروف الرّوح،
الصّمت يشكّلني،

فأريق من الألوان على الألوان،
وأفتح باب القلب وأغلقه،
لأقاوم ألواني وذاكرتي،
ويحيا الصّمت /
ويخجلني!!

(صور في: ١١ - ٤ - ٢٠٠٤)

ملل

حتّى الكلام أعافه وأملّه
ويجيش في صدري فأحكم لجمه
لا خير في حلو الحديث وطيبه
وبغيضه: إنّي اعتراني همّه
والصّمت من ذهب يعزّ مرامه
فالجّم لسانك - ما قدرت - تجمّه
يا عاذلي إنّي سئمت حياتهم
وكلامهم فالموت خير سمّه
أنأى فيحرقني شواظ حديثهم
فأعود - من ضعفي - صراخي أذمّه
هذا أنا صمتي كلام كلّه
كالنّار من تحت الرّماد تؤمّه

(غير مؤرّخ)

أورشليم

١

البيت تسحبه الزوايا،
يستكين على شفا الطوفان،
تقتله المرايا –
يعتليه الطحلب البحري
والأسماء والألق الغريق.
لا ظلّ،
طعم الماء شوّهه التراب.
لا نسمة شرقية،
لا زهرة تمتدّ في وجه الزمان.
لا مهرب...
الأرض التي كتبت حروف مخاضها
انتحرت،
ولم يبق الإله – الظلّ زقزقة الشّجون /
على الغصون.
لا مهرب...
الأرض التي كتبت حروف مخاضها،
مسخت عناق الصّرخة الليلية الأولى

وغمّست السّراب ببركة الشّوق القديم –
هجست بفيها وانسدال جفونها،
بتغلغل الكعبين في الماء المضاع طراوة،
بتهدّل الشّفتين،
بالخصر المعانق نجمة –
هجست حدود الكون والميلاد:
هذي الأرض /
هذي الصّرخة المقطوعة النّبرات،
تسحبها الزّوايا –
بين طين البحر –
تعلقها المرايا،
كي يعود الظّلّ للبيت الغريق،
كيما تموت الدّمعة الطّوفان،
كيما يستعيد الماء طعم الماء...!

جاء الرّاحلون تقودهم خطواتهم،
 (ضاقت بهم سبل الرّحيل. طوتهم الصّحراء، والرّمل
 المهيبّ كان مثل النّملة الجوعى، يسارق فتحة القمصان...
 يدخل معلنا بدء الرّحيل إلى الرّحيل، ولا ظلال سوى التّضوّع
 حرقة، وتحلّب العرق الشّحيج؛ ودملّ ظمآن يبسط راحتيه
 على احتراق الجلد، يمتصّ الملوحة والدّم المتخثّر القاني،
 ولا...)

جاء الرّاحلون تخضّبهم خلجاتهم،
 عبرت شفاههم الكليّة غيمة بيضاء،
 ساروا في انسكاب الرّيح،
 بلّهم نشيش الصّبح.
 كان البحر ترقد كقّه رجراجة فوق المياه،
 ونجمتان تمسّدان ذؤابة الصّمّت القديم،
 وشاطئ الرّمل المبلّل بالنّدى
 انكفأت على خديّه أسراب السنونو.
 ضوّعته بلوزها العسليّ حلمة نخلتين.
 الرّاحلون تمازجت في دمعتين درويهم،
 مال المسار إلى وراء.
 نامت الصّحراء /

والرَّمْل المهيِّج /

دَمَل ظمَّان .

ساروا موكبا وتعانقوا.

(مالت بهم شمس الأصيل إلى الهديل. علتهم الأنسام،
والصَّبح المنمنم هزَّهم فغدوا عطاشا. هل رواء الماء يكفي؟
هل رواء الماء يكفي؟ هل رواء الماء يكفي كي يصير الرَّمْل خمرا،
والصَّحارى تستباح كما استباحت، والحناجر جوقة تزدان
ضوع الياسمين؟ فهل رواء الماء يكفي؟... يدخل الظَّمأ المفاجئ
بغثة. يرتدّ بدءا للرَّحيل إلى الرَّحيل، ولا ظلال سوى التَّضوُّع
نشوة، وتفتَّح القلب . الرَّحيق؛ وخذَّ سكران يبسط راحتيه
على انفجار الرَّغبة الحرى، ويمتصَّ الطَّراوة والسَّنا المتألَّق
الدَّاني،...)

وجاء الرَّاحلون،

الجان ملء أكفِّهم،

عبّوا وما سكروا،

وعبّوا ثمَّ غنّوا .

نامت الصَّحراء /

والرَّمْل المهيِّج /

دَمَل ظمَّان:

يبسط راحتيه على احتراق الجلد

يامتصَّ الملوحة والدَّم المتخثَّر /

القاني...!

سلاما أيها الغادون ملء أكفنا .
 يا أيها الملح المعتق بالأريج ،
 ويا احتقان الأرض في الرتتين ،
 يا سفرا تبعثره الخطى .
 يا أيها الصّمت المشرشر كالنّشيد ،
 ويا بعيد الظلّ .
 يا وطن المدائن مشرفات /
 كانزياح الرّوح عن شرفاتها .
 يا أيها الحرف المذاب عصارة الجرح النّديّ ،
 يا أيها القنديل ،
 يا بوح التّخيل إلى التّخيل .
 يا أيها الغادون ملء أكفنا .
 يا أيها الغادون ،
 صار الحان ملء أكفكم :
 لكم السّلام !
 ولنا سلام !

شمس مذرّاة على الأوراق،
والقمر المخبأ في رحيق الياسمين
مظلة حمراء.
مرّت نسمة،

فتضوّعت كلّ الشّواطئ طيها،
رسمت خطوط البحر مملكة،
نأت بيّارة في دارة لقنديل...

(في الزّمن المعقّر بالحريق، وجوهنا احترقت: فلم نسأل
لماذا تهمت الأشياء؟ لم نسأل: لماذا البيت تسكنه الظلال؟ ولم
نحاول أن نفكّك دورة اللّغز الحريقة في الجفون...

.كفى سؤالاً!

قالت العنقاء فينا:

لم نقل شيئاً.

محانا الصّمت،

وانكمشت زوايا الظلّ فينا.

لم نقل شيئاً،

وكان الهجس فينا:

مزنة حبلى

وجوعاً للكلام

وخطوة قبل الدّخول إلى الكلام.

... زمن الحريق:

وجوهنا انطمست .

حفيف القلب يصبغ فتحة الشّبّاك ذاب .

الماء جفّت مقلّتاها،

وشارع الأشجار

هرّبه السّياج /

إلى زنزانة القلق الأخير.

يا أيّها الزّمن المعقّر بامتزاج الدّم /

يا هربا قرير العين إنّ /

وجوهنا احترقت .

فلم نسأل:

لماذا...؟

/ أو /

لماذا؟

لم نحاول رجفة التّسأل،

لم نصغ الكلام على الكلام. (

كم مرفأ في التّيه...

.يا من يشربون صراخهم متمهّلا.

كم مرفأ في التّيه. ليلا. لم يكن قمرا

وكم ألما ينزّ براحة الأسماء والأشياء.

كم...

كم مرفأ. عند الضّحى. قارفتموه،

وكم حوار.

من أورشليم. حدائق اللّوز المعطرّ بالخزّامى. من دم

القديس، والقسم الصّريح. ومن قلادة طفلة عسليّة العينين.

من دير برأس الشّارع التّريّ. من شرّاعة بيضاء. من نهر

العذارى ماشيات بين باب الدّير والحىّ المشوّه بالملاجئ. من

إفاقة طائر. من شعر مريم...

تخرجون.

التّيه:

هل شاهدتموه أمامكم؟

هرّبتم الوطن المبعثر في المعابر.

وانتهبتم. طرفة العين الأخيرة.

في صرير الباب والزّاد المعبأ في المحاجر؟

هل قرأتم آخر الأسماء،

هل دلّتكم الخطوات .مهورين .

للطفل المدثر في وشاح؟

دلّتكم الهفوات:

كم من مرّة مزّقتم القريان في البستان!

كم من مرّة صغتم من الشوك المقدّس ضاغطا ليديه!

كم من مرّة مالآتم الربّ الضحيّة،

وانسلتتم من خباء الموت!

كم من مرّة أنساكم الربّ البكاء!

التّيّه:

هل شاهدتموه أمامكم .من أورشليم؟

التّيّه:

هل واريتموه دموعكم .من أورشليم؟

التّيّه:

هل واعدتموه مسيركم .من أورشليم؟

التّيّه:

هل ألبستموه حليّكم .من أورشليم؟

التّيّه:

أنتم رمتموه عصابة غجريّة /

وسكبتموه أصابع الحنّاء خلف البحر.

هل قايضتموه مدامكم /

والطّور /

والنّار التي في جانب الطّور المسيح بالخبايا /

والسّكينة /

واحتجاب الربّ في سرّين

/و/

العشر الوصايا.

هل قايضتموه؟

الأربعون فراشة أبدا تحاول أن تصير متاهة!

والأربعون متاهة أبدا تحاول أن تظلّ مضافة!

والسّامريّ المنتهى أبدا:

يحاول أن يكون ولا يكون.

السّامريّ المنتهى أبدا:

يحاول أن يقول بداهة:

«لا خير في الصّمت المغمّس في انطواء الرّمّل؛

لا... لا خير في ليل يطول بلا إله!»

والسّامريّ المنتهى أبدا:

يظلّ حاجبيه براحتيه،

فيرى الرّسول مغامرا ومشاهدا.

والأربعون متاهة أبدا تحاول أن تظلّ مضافة.

طارت يدها إلى ارتقاء السّرّ،

حضّنت التّراب.

رمت بشوق الرّبّ:

«كن تفّاحة وجنانا

كن بيّارة ومداما.

كن. ما خلا الصّمت العقيم.

مكامن العشق الإلهيّ / الخفيّ:

البيت تسحبه الزوايا،
يستكين على شفا الطوفان،
تقتله المرايا .
يعتليه الطحلب البحري
والأسماء والألق الغريق .
لا ظلّ،
طعم الماء شوّهه التراب .
لا مهرب...
الأرض التي كتبت حروف مخاضها
انتحرت،
ولم يبق الإله . الظلّ زقزقة الشّجون /
على الغصون .

الجان أقفل بابه،
والشّارع البحريّ مدّد ساعديه،
ونام /

منتظرا عبور الرّاحلين إلى المتاهة والسّراب.
الشّارع البحريّ أقفل بابه،
والنّخلة السّمراء،
والبحر المعانق فرحة القمر/
المعتقّ رغبة،
والظّلّ.

والأشياء /
والأسماء تقفل بايها؛
المصباح أيضا.
والزّمان هو الزّمان.
فلتشربوا الآن!
الزّمان هو الزّمان.
فلترقصوا الآن!
الزّمان هو الزّمان.
فلتسحبوا الأسرار من شطحاتكم!
ثمّ الزّمان هو الزّمان.

وتدخّنوا في هدأة الصّمت المبرقع بالحنين!
ثمّ الزّمان هو الزّمان .
وتخاطبوا الوطن المبعثر في زوايا القلب ،
والأهل المضاعين الحزاني ،
والندامي ،
وانسكاب الظّلّ في صفصافة البيت القديم!
ثمّ الزّمان هو الزّمان .
تتشابك الأيدي العجاف مرارة!
ثمّ الزّمان هو الزّمان .
تتسارع الأنخاب...
تدمع مقلتان...
ويغادر التّيّه المرابط في الكؤوس إلى الوطن!
ثمّ الزّمان هو الزّمان .
ثمّ الزّمان هو اختصار الرحلة الأولى ،
اختصار التّيّه والعشر الوصايا /
المسرعات على الوطن!
الأربعون فراشة أبدا تحاول أن تصير متاهة!
والأربعون متاهة أبدا تحاول أن تظلّ مضافة!
والسّامريّ المنتهى أبدا:
يحاول أن يموت ولا يموت.

هات المدام وسقّهم يا أيّها الخمّار!
 أطفئ نارهم
 هات الرّحيق المجتبي والسّوسن البحريّ!
 جاذب ليلهم
 طرف الشّكاة وصبوة يا أيّها الخمّار!
 وانثر دمهم
 آسا ووردا يانعا وشذى يضوع بديمة
 يا أيّها الخمّار!
 وارسم خلفهم

بلج الصّباح

/و/

لوزة من أورشليم.

هات المدام وسقّهم
 فالليل أطول من رحيل آخر
 هات الرّحيق المجتبي
 فالليل أشهى من عبير آسر
 والليل أشهى دائما

يختال تهما في انزواء عابر
هات المدام فبينها
نثر الرّبيع كواكبا بمحاجر
ورقي . بيوح . ريحها
مشكاة قلب هاجع متكاثر
وتمازجت في رقة
أفناؤها وتخوم حلم ساحر
يا أيها الخمّار لا
تطفئ نجوم اللّيل... لا
فالليل أشهى من عرائس /
أورشليم.

يا أيها الخمّار!
وانثر دمهم
آسا ووردا يانعا
وشذى يضوع بديمة
يا أيها الخمّار!
وارسم خلفهم
بلج الصّباح
/و/
لوزة من أورشليم.

الشّارع البحريّ مدّد ساعديه /
 تسارعت خطواته،
 والجان يفتح بابه .
 الخّمّار غادر،
 والقناني فارغات .
 هل رمى البحر السفينة في مضيق التّيه؟
 هل تفّاحة تنأى .
 وبحار المدائن يستفيق على القلوع /
 محاكاة من ياسمين؟
 فصباح خير آخر. للشّارع البحريّ مدّد ساعديه /
 تسارعت خطواته،
 وصبح خير آخر. للجان يفتح بابه،
 وصبح خير. للقناني فارغات .
 سوف ينأى الرّاحلون!
 وصبح خير. للقناني فارغات .
 سوف ينتفض الرّماد وتورق العنقاء .
 سوف يحتاج الزّمان إلى زمان آخر .
 والجان يحتاج إلى قنينة مألّى،
 وخمّار يغادر في الصّباح .

لكن،

يعود الرّاحلون كما أتوا،

لتقودهم خطواتهم،

(ضاقت بهم سبل الرّحيل. طوتهم الصّحراء، والرّمْل
المهيجّ كان مثل النّملة الجوعى، يسارق فتحة القمصان...
يدخل معلنا بدء الرّحيل إلى الرّحيل، ولا ظلال سوى التّضوُّع
حرقة، وتحلّب العرق الشّحيح؛ ودملّ ظمآن يبسط راحتيه
على احتراق الجلد، يمتصّ الملوحة والدّم المتخثّر القاني، و..)

عاد الرّاحلون تخضّبهم خلجاتهم،

عبرت شفاههم الكليّة نجمة بيضاء،

ساروا في امتداد الرّمْل،

غمّسهم وشيش الحلم /

في حدق الصّبايا.

وانسكاب البيت /

ترسمه المرايا.

في دم القديس، والقسم الصّريح. وفي قلادة
طفلة عسليّة العينين. في دير برأس الشّارع التّترّي. في شرّاعة
بيضاء. في نهر العذارى ماشيات بين باب الدّير والحيّ المشوّه
بالملاجئ. في إفاقة طائر. في شعر مريم...

١٠

هَلُّوِيَا.

هَلُّوِيَا.

سوف تنهض أورشليم!

هَلُّوِيَا.

هَلُّوِيَا.

سوف تولد أورشليم!

هَلُّوِيَا.

هَلُّوِيَا.

سوف يأتي الرّاحلون،

ويزهر البيت القديم جدائلا /

في أورشليم!

الأربعون فراشة:

الأربعون متاهة.

تحاول أن تكون فلا تكون.

والسّامريّ المنتهى أبدا:

يحاول أن يكون فلا يكون /

يحاول أن يموت فلا يموت /

ستظلّ تنهض أورشليم.

هَلُّوِيَا.

هَلّوياً.
يزهر البيت القديم...
هَلّوياً.
هَلّوياً.
/ جدائلاً في أورشليم!

(المتلوي في ٢٥. ١٢. ١٩٩٧)

الشيخ والصبا

١

لم يعد ذاك الصبي المستحيل،
لم يعد صندوق ألعابه .
يرتاح على طاولة البيت،
حذاء الزاوية؛
دبه...

والقاطرة المملأى ضجيجا،
وهسيس النخلة السمراء،
والشمس البعيدة...
لم يعد ذاك الصبي .
ناهز الستين...
في بيت شتائي؛

هو الطفل الذي ما عاد طفلا .
هل ترى الذكرى تعيد الأمس؟
هل يفتح باب القلب صندوق .
على طاولة البيت،
حذاء الزاوية،
دبه...

والقاطرة المملأى سنينا،
كي يفيق الطّفل .
شيخا ناهز السّتين...!؟

آه...

يشرب الشاي وحيدا،
يملاً الغليون في البيت الشتائي،
ويشتمّ الدخان الرطب مفتونا،
ويحسو الشاي .
«... كان البيت،
كانت أمّه،

والنخلة السمراء،
والغيمات...

كان الطفل مسكونا /

ومغسولا بأنسام المساء...!»
لم يعد ذاك الصبيّ المستحيل،
ناهز السّتين في بيت شتائيّ،
وصار الشاي يحسوه .
هو الطفل الذي ما عاد طفلاً.

آه...

يملاً الغليون في البيت الشتائيّ،
ويشتمّ المساء الرطب مفتونا،
ويحسو الشاي .

ممزوجا بأوهام الدخان...!

كم تحامته الأزقة،
 كم هوت كفاه بين الطين
 والعشب الندي.
 كم ربيعا.
 كم خريفا.
 كم شتاء مزقت رجلاه طعم الوحل،
 كم غاص الصبي اليافع المفتون
 حتى ركبته،
 وجرى خلف الفراشات بطيئا
 مثقلا بالشمس والطين المبلل...
 لم يعد ذاك الصبي الآن.
 والأعوام تمضي.
 ناهز الستين:
 رجلاه التوتا،
 والركبتان انهدتا.
 اليد صارت كالرصاص.
 لم يعد ذاك الصبي المستحيل.
 ناهز الستين في بيت شتائي:
 ولم يترك جدارا ماثلا حذو الجدار،

لم يحصن بيته المسكين .
بالسور القديم .
لم يفكر في سقوط الثلج
والأمطار والليل الذي يمتد دهرا ،
كي يشد الباب ،
يبتاع الربيع الدفء ؛
أه ، لم يدثر شعره الفحمي
بالطيب النسائي ،
ببعض الصمت مشدودا إلى القنديل ،
لم ينجب سوى برد .
ورجلاه التوتا ،
والركبتان انهدتا .
اليد صارت كالرصاص !...

لوفقط يأتي الصبي
من رتاج الباب .
يأتي من سكون الروح ،
من ألامه /
والشارع المنسي .
يأتي...
ليته الآن هنا ،
كي ينتمي .
يا ليته الآن هنا ،
كي يسند الشيخ الصبي .
ليته الآن هنا ،
كي يوقف العمر المباغت ،
كي يقول :
.أيها أمس كفى ،
يا أيها أمس المشاكس .
يا بطيء الخطو مهلا ،
لا تبعثر ساقك اليمنى ،
وحاذر .
عندما يلتف فيك الليل ،

يقصيك الظلام الأسود العاجي،
تلقيك الرياح الهوج،
يعروك الدخان...!
أيها الأمس كفى .
يا أيها المقتول مهلا:
. لا تقف!
لا تحترق...!

لا شيء بعد الآن،
 لا شيء تماما.
 غير أهذاب المساء الرّاحل المطعون،
 غير الشّارع المسكون بالخطو/
 وبالمنفى وذكرى الميّتين.
 لا يريد الشّيخ بعد الآن شيئا آخر،
 لا... لا يريد الشّيخ إلا:
 . حسوة الشّاي التي تمتدّ حتّى القلب.
 لا... لا. قد يريد الشّيخ شيئا آخر
 غير احتساء الشّاي.
 والشّاي الذي يمتدّ حتّى القلب،
 أو ربّما الغليون مملوءا.
 مضاعا بالدّخان.
 قد يريد الشّيخ عمرا آخر.
 كي يصبح الشّيخ صبّيا من جديد.
 قد يريد الشّيخ بيتا،
 وزهورا للحديقه،
 ويقيم السّور.
 يبتاع الرّبيع الدّفء،

يحتاط كثيرا للتلوج.
قد يريد الشيخ شعرا ناعما،
عينين لعساوين.
خطوا أسرا.
ويدا تعرف سرّ اللّمسة الشّزراء.
آه...

قد يريد الشيخ حبّا جامحا
قد يريد الشيخ آلاف النّساء.
وامرأه.
قد يريد الشّارع الخلفيّ للهمس. الهديل،
قد يريد القلب أن يمتدّ حتّى القلب،
أن يمتدّ حتّى النّخلة السّمراء.
والليل السّديم.

قد يريد الشيخ،
لكن...
يعبر الطّفّل سريعا /
كي يفيق الشيخ.
ميتا فارق السّتين...!!

(المتلوي في ١٦. ١٢. ١٩٩٧)

تداعيات

١

قمر الشّارع.
من بين ملايين الأسماء يسافر،
من لون البحر الأرضيّ للون البحر الليليّ،
من آخر سفر التّكوين /
وبقايا الصّبر مذاب في القبر!
من وجه آخر.
غير الآخر...
مسكوبا في حزن الفنجان؛
من وجه الآخر فيك عصيًا.
في بحر الصّمت الموحوع يراك شقيًا،
في فجر آخر غير الفجر،
من وجه آخر.
غير الآخر...
مسكوبا في سرّ الوحي /
ووصاياك العشر.

في الشّارع .
 هل حقًا ترتاح الأشياء الأولى:
 بيت؟
 مطر؟
 كراس الأحرف تعتاد اللّيل؟
 قمر الشّارع...؟
 لا شيء . الآن . سوى القلب المتهالك قهرا ، لا...
 لا كأس يحاصر أحزان الوحده ،
 في الشّارع .
 لا ليل يبعثر أخطاء الفجر!
 لا قلب ،
 سراديب القلب المشروخ .
 دخان المصباح الأصفر؛
 لا كأس سوى...
 اشرب .
 عفوا: في اللّيل أخاف التّخمة جدّا:
 وأخاف . كما خبّرتك . أن أفرط...
 اشرب . من فضلك . إكراما للّيل ،
 فإنّي أرغب أن ننسى في هذا اللّيل مشاغلك الأزليّة .

أن تنسى مثلاً:
نفس الأشياء اليوميّة؛
نفس الأصوات المعتادة عند الظّهر؛
ونفس حنينك؛
فلتهرب... في الشّارع،
قد نرتاح. الآن. وقد ننسى!

عدّ المذيع أصابع أيلول .
 ... ومساء سافر أيلول ،
 فتهوى البيت الرّيفي ،
 وجثت بالباب الأحلام .
 كانت تتعلّق بالعشق النَّاري ،
 تبيّئ للعشّاق شواطئهم...
 عدّ المذيع على . مضض . من مرّوا ،
 عدّ شآبيب الخطوات على الحانات
 وآخر من يأتي بجميع حقائبنا...
 هل حقًا يدرك أيلول .
 أنّ الماء البحريّ كطعم الفجر بلا طعم ،
 وبأنّ الفندق في رأس الشّارع .
 لم يرحل...؟!
 هل حقًا تتداخل في الوطن الأسماء ،
 ويرتج مفتاح اللّيل العسليّ منارات الأشياء /
 على حدق البحر...
 . اشرب . من فضلك .
 يا عوليس المأساة...
 يا آخر أغنية من طين الأرض ،
 وآخر بجّار تعطيه المرساة شرّاع .

مرايا كانت كلّ الألوان،
والحبر يجفّ قليلاً مثل الماء بعين الشمس .
كتبت آيات الموج على وسن المجهول /
بقايا أيلول المتخفي .
مدّ السّاحر منديلاً أبيض ،
وتلا في الغربة سفراً لم يولد .
لم يدر البحّار المسكين:
أغلق باب البحر ،
أم يحرق في وطن السّاحر /
كلّ الأوطان لأيلول الرّاهب
أيلول القربان؟!

... مساء آخر لا يكفي،
 عشرون مساء لا يكفي،
 وجميع موانئ بحر النسيان الأولى لا تكفي،
 كل الأوراق السريّة،
 كل خطابات الحب...
 وبكاء العصفور الشرقيّ بساحات الشرف المعذور /
 وغابات الهرب المسحور:
 تموت... ولن تكفي.
 أيلول مساء:
 ينفث آخر لقات التبغ /
 يتأبطه صوت الليل المتأكل في الخارج.
 مسكين من يعشق؛
 طفلا كنت... وتموت؛
 إله الباب إله آخر؛
 لمن نحيا؟!... هل حقًا أحياء نحن؟
 («تسترسل لقات التبغ،
 حلقات تأسر عينيه؛
 فتح الباب الخلفي...»)
 لقات التبغ تصير جرابا.

كان البيت تضيق زواياه،
وعلى سجّاد النافذة الشّرقيّة
لم يرسم غير الوجه البحريّ
ورايات الفتح المهزوم...
مساء آخر قد يكفي
لتقول الأشياء بعكس معانيها،
ولكي تعتاد حقيبتك . الوطن المنسيّ،
وتعتاد مساءات البحر.
لتلوّح في عينيك
لمن يأتيك بشال بيتيّ،
يأتيك بكأس الشّاي مساء .
بالقمر المتضاحك في ركن الشّرفة.
عشرون مساء قد يكفي،
لتعيد بناء الوطن المنهار،
وتمنع أشجار الغار/
والطيّف الخائف أن ينأى.
كلّ الأوراق السريّة،
كلّ خطابات الحبّ...
ما عادت تحصيها الخطوات إلى المرفأ.

هل كان الموقف بين وشاح الطَّلقة /

في حلقات التَّبغ

وبين هروبك...

بين سقوط الحرف على الحرف؛

هل كان الموقف ساحة حرب أخرى،

أم هل أنَّ الموقف آخر أسوار التَّوت

تعلو في حمرة دفترك الشَّخصيِّ

وأخر ما قلت...

. عن بيت ريفي يتألَّم،

. عن وله العشَّاق،

. وعن سفريتكرَّر مثل البحر /

مثل الصَّيف

ومثل زوايا القلب الوردية؟!؟

هل كان يراك...

جواز اللَّيل على سفر الأراك؟!؟،

وهل مكتوب أن تبقى مشدوداً دوماً كالخوف الهارب؟!؟:

كم كنت تغافل دمعتك أن يهرب /

كم كنت...

. إذا غاليت بتشويه الأشياء.

تحاذر في الصّمت الأبديّ وقوع الظلّ على الشّارع /
كم كنت تخافك:
بين حصار اللّحن /
وهذا اللّيل بلا وجه،
ومخاض الكلمات...
ستقرأ «والتّين» و«ص».
تقرأ في حلقات التّبغ وشاح الطّلبة /
و«الفجر» المتمازج أختاماً. ودما...
للغائب يذكر:
.بيتا ريفياً يتألّم،
.وله العشّاق،
.وسفراً يهتف باسمك في قاع الحوت:
«هل تبعث من بين الأموات،
وهل يعطيك الرّبّ مفاتيح السّرّ،
هل يصبح يقطين البحر.
من بين جميع الأسماء.
الوحي المرقوب /
ومزمورا /
هل تصبح بعضاً سرّيّاً جدّاً /
من كلّ خبايا الطّور /
وعجلاً يتكلّم...؟!؟»

(غير مؤرّخة)

تجلّ أوّل

ظلمة اللّيل...

ابتداء الكلام

ولا صمت

بعد الكلام

سوى صمتك

المستحيل...

(غير مؤرّخ)

آخر من يأتي

آخر من يأتي /
سجلّ ببيانات خطى
يعلكها الشّارع في فيه: ...
آخر من يأتي /
بقايا الشّفق المشقوق،
صمت القمر المجلوّ...

(غير مؤرّخ)

إليها... سيديتي

الجرح في قلبي عميق غائر
ليس الطَّبيب ولا الدَّواء بنافع
فوطئته وتركته قلبي سائحا
دمه الشَّريد بلا وطاء مانع
ومشيت في خفر العذارى قبله
مشيا رقيق اللِّحن ليس بشافع
لي ما اقترفت من الهوى ومثيله
وإن امتنعت كموج بحر دافع
ولو انتحلت عرى الصَّبابة سمتني
سوء العذاب، عذاب رِقِّ رادع

ولو اشتكيت شكوت نفسي لم أرد
أن تستبيك شكاة صبِّ خاشع
كيلا يداهمك البكاء لعليتي
وتقاسميني من دموع تبَّع
كيلا أكون لحبل ودك راجيا
من بعد سكر قد عبيت متعتع

وفظاظلة في القول قد أودعتها
كلّ الألى وأنا بركن أقطع
لم أرع ما كان الهوى قد ضمّه
في راحتينا من جموح رائع

وجفوتك ثمّ انتزعتك قطرة
من سمّ قلب واله متقطّع
الحنّ والندمان أشهد أنّي
واصلتهم في قطعك المتقاطع
أوطأتهم فرش الفؤاد وموطننا
ولدت به ونمت محبة يافع
ونشرت في غيش الظلام محجّتي
كونوا الضياء لظلي المتدافع
كونوا انسكاب الحزن أسكبه دما
والدمع أسكبه سكوب الأقطع

كونوا التدامى إذ يصيبني طائف
من مسّها المتفاخر المترقّع
واحثوا التراب على رثاة هيئتي

ثم انضحوا وجهي بماء مائع
فعسى أثوب من الجنون وأنثي
في رقها العذري، رِق الرّادع
وأقول ملء فمي بأنّي آثم
ينجو الخطاة جميعهم من قارع
للهم يقطعها ويقطع حبلها
الموصول، يلقي حشوها في شارع

وأنا الأثيم اليوم يسكنني الجوى
والنّار تحرقني لهيب السّاطع
وأقول ملء فمي بأنك منية
للقلب ضاعت، ليتها لم تقطع
ليت الكلام موافني والصّمت لم
يعقل حدود هتافي المتنطّع
وشكا من النّار التي أوقدتها
في قلبه بحدائك المتخشّع
واها لذاكرة الرّماد إذا انثنت
تمتدّ في وسن الفؤاد الهاجع

إذ يعتلي صمت المكان وينتشي
بالصّمت في كلّ المكان الأوسع
الهجس رحلته الجديدة والمس
ويح المسا من هجسه المتفجّع
يشتمّ من عبق البخور تماثما
يذكين فيه من الحنين النَّازع
يشتمّ رائحة الحريق إذا انطوت
كلّ الحرائق في فؤادي الطيّع
ويحاول النّسيان إذ هجر الهوى
بستان حبّ لم يرفي المخدع

غير انشطار الحبّ يأنفه الهوى
ويوسّد القلب الحيّ بلانع
يا كانفي في الصّمت هذا الصّمت أرّ
قني، وبني من حسرة المتفجّع
ما لو تظامن لحظة هاجت شجو
ن الرّوح معلنة حصار الضّارع
يا كانفي في الوحشة العزلاء ذك
كرني المساء بأنّني من ساطع
للضّوء يحجبه الضّياء كلاله
لما انتهت على سراب خادع

يا كانفي، يا كانفي، يلقي المساء
ء ببرده في بهو قلب قانع
وأقول ملء فمي بأنك لقيمة
ضيّعتها في مهمه مترّبع
فجنت قطفوك سمرة ميمونة
وتركت في قلبي حنين الهاجع
أثراء روعي لبيت روعي لم تمل
عن دعوة في صوتك المتمنّع
أثراء روعي لبيت روعي أمرعت
في حزن قلبك والصدى المترجّع

أثراء روعي هذه مدني وما
ملكنت يميني للمقام الأرفع
سعد المقام مقام سعدك سرمد
ما رفّ طيرفي الغصين الأفرع
أثراء روعي لبيت روعي لم تبح
سفها بأنك قد قضيت بأضلعي
وسلاك في زمن الجراح متيم
لم يعرف الحبّ الصريح ولم يع
حتى تمرغ في ثراك وأينعت
روح الهوى في بوحك المتدافع

بالشوق تنثره الصبّا في كل صبـ
ح مستبيح خلف حان ضائع
حيث الندّامى والنّشامى رفقتي
يلقون في روعي وصال الخادع
وأعبّ حتّى تنطوي الأيّام في
رجع بعيد غابر متلقّـع
بالذكريات على مشارف ربوة
زهراء في مرج قشيب بارع
وأحاول الإمساك بالخيط الفقيـ
د فلا أرى غير السّكون الفارع
وأبثّ في ذكرى الحنين ضراعتي
والجرح في قلبي الجريح النّازع
والدمع في صمت الكلام مسافر
ليس الطّبيب ولا الدّواء بنافع

(المتلوي في: ١٩٠٩.٩.١٩٩٩)

كوريغرافيا

١

ما للقلوب تراقص
الأحزاننا
ولها بها أم ترتجي
الإدماننا
كم مرة نكأ الفؤاد
قريحتي
فاسترحمت لنا اكتوت
ندماننا
هذا الهوى وداء قلبي
فوقه
زهر الهوى عطّرتّه
خلاننا
هل يشتكي من لم يحرق
قلبه
شمع الصّباية قد ذوى
ريّاننا

لست الصِّبَا إن ينتهي عهد
الصِّبَا
إنِّي رجَاه وبابه
الأسيانا
البحر زرقته سفائن
عينه
والبحر طيف قد مضى
سكرانا
البحر حزن الحزن شوكة
زهرة
يا قرة أودعتها
نيساننا
حبّان حبّك والهوى إلف
الهوى
سأريقه، فليثن
وسناننا
سأهاب بحرك عندما
تخفينه
تمّا ليدرك يستبي
شطاننا
وأظلّ أعشق برعما
أقيته
مرساة عشق سريلته

سمانا
وأنادم البين المسدّد
سيفه
في كلّ ضلع خلته
حيرانا
واها لصحراء الرّماد
تلقّني
فتثيرني في حان الجروح
قيانا
واها لصحراء ألفتها
مسكنا
سيكون في وهن الشّجى
نسيانا

خمر القلوب تأوّه في
 عبرة
 مسكوبة تتجاذب
 الأحزاننا
 ونشيش سورتها عتاب
 جلّه
 ليلاء تعزفه شذى
 الحاننا
 هل بعد عتبي اللّيل شيطان
 الأسى
 من بحرها تستعبر
 الأوزاننا
 هل في نتوء الصّمت تحجم
 فكرة
 فتقاسم اللّيل البعيد
 هواننا
 هل... هل هواك مقدّر
 بحرائقي
 أم هل هواك يجاوز
 الأزماننا

هذي السّماء وذي مرابع
حرقتي
كم أجهشت ولها بك
وحنانا
هذي تباريح الفؤاد
ورحلة
سيعبها الكأس الهتون
أمانا
ويخبّ في أوتارها رملق
الصّدى
ولهان يتخذ الهوى
أوثانا
خمرا شربناها وما كان
ارتوا
ء ليلك مدّت له
أحضاننا
فليفتح الباب الّذي
واربته
طيّ السّنين مضمّخا
أشجاننا
فلعلّي الحان القديم
أعبّه
من مقلتيك سفائنا

شطانا
وأسامر القمر الذي
أوحشتني
في ثغره القزحي شعرا
خانا

(المتلوي في ١-٦-٢٠٠٦)

